بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الثمر المستطاب

في سيرة القائد خطاب

يَا مَنْ عَشِقْتَ الخُلْدَ تَخْطُبُ حُورَهَا لِلّٰهِ دَرُّكَ عَاشِقاً خَطَّابَا

كتائب النور

وأخيراً ترجل الفارس خطّاب

الناسُ مُذ خُلقوا لم يزالوا مسافرين من شاطئ الدنيا إلى شاطئ الآخرة، وليسَ لهم حطّ رحالهم إلاّ في الجنة أو النار.
ولا يــزال ركــبُ المؤمــنين مستمراً يحدوهُ القائد بعد القائد. أسمعهم منادي الإيمان النداءَ فاستبقوا إليه، واستيقنت أنفســهم ما وعدهم ربهم فزهدوا فيما سواه. علموا أن الدنيا دار ممر لا دار مقر، ومنزل عبور لا مقعد حبور وأنها خــيال طــيف أو سحابة صيف.. وأقبلت الآخرة إلى قلوبهم مسرعة، فامتطوا ظهور العزائم وهجروا لذة المنام، وما لــيل المحــب بــنائم، علموا طولَ الطريق وقلة المقام في منزلِ التزود، فسارعوا إلى الجهاز وجدّ بهم السير إلى منازل الأحباب.
وهــنــا يأتي دور الراغب في السفر معهم، فلا بدّ له من الاستعداد والعزم على ذلك بأركانٍ ثلاثة : الإيمان، العلم والعمل. فاستبِقوا الخيرات.

وتزودوا للقــاءِ الله وانطلقوا لنصرةِ الحق والتقوى هي الزاد

وخطّــــاب – رحمه الله – **مُســافرٌ عملاق، علّمنــا أن الحياة تستدعي الإقدام دون التفات إلى الوراء إلاّ للعبرة. تميّز في سفرهِ إلى الله تعالى متّخذاً إيّاهُ وحده هادياً ومعبودا، وغايةً ومقصودا، مقتدياً برسوله المصطفى صلّى الله عليه وسلّم.**
فرحمَ الله القائد خطّاب وإخوانه الذين سبقوه. اجتهدوا فجاهدوا، فمضوا إلى الله، واقتحموا العقبة. وما زلنا ننتظر! وسنبقى ثابتين بإذن الله على مواقعنا نطلب الفجرَ حثيثاً حتى نراه أو نقضيَ دونه. غرباءٌ مع الغرباء، فطوبى للغرباء !

اللّهم إنّــا نسألكَ نُوراً يُباشرُ قلوبنا، ونسألك جهاداً تُرفرف في أفيائه أرواحنا، وأن ترضى عنّا لنكون في عداد العاملين المخلصين، نحيــا في سبيلك ونمــوت في سبيلك.

والقسم الإعلامي لكتائب النور يسرّه أن يتقدم بهذا الثمر المستطاب من سيرة القائد خطّاب رحمه الله تعالى، راجياً أن يجعلَ منه قبساتٍ من نور تضيء دياجير الظلام وتهدي إلى الطريق. ولئن ذقنا وذاقت أمتنا مرارة الفراق لفقد ابنها البار، وقائدها المجاهد خطّاب رحمه الله تعالى، فإنّا نحتسب عند الله أجرها، رجاء أن يعوضنا في الحياة الأخرى بما هو خير منها، وأن يجمعنا في جنّتهِ إخواناً على سُررٍ متقابلين.

وحسبنا هنا أن نقتطف من سيرته العطرة الثمر والعبر.. فحياته ومماته رحمه الله سورة من نور تُبَيّن لنا المسار وتوضح لنا معالم الطريق.

ولا ننسى أن نتوجه بالشكر إلى المواقع والمنتديات التي ساهمت بعرض سيرته وآثاره، ونخص منها موقع مفكرة الإسلام، وموقع وَا إسلاماه، وموقع صوت القوقاز وموقع الجهاد أون لاين ومجلة الأنصار. كما نشكر الأخوة والأخوات الذين شاركونا هذا العمل ونخص منهم الشيخ سيف الدين الأنصاري، الأخ أبو أيمن الهلالي، أبو أنس الطائفي، أبو عائشة، أبو طلحة، الأخ حمزة، هلال، وحسين بن محمود. والأختين الفاضلتين بنت الرسالة ونبيلة. فجزاهم الله خيرا.

ونشكر أسرة الشهيد التي جادت علينا بكل خير ونخص منهم الأم الغالية حفظها الله والأخوين الفاضلين منصور وماهر. منحهم الله بإذنه مرتبة الصابرين، ورضي الله عنهم وأرضاهم في الدنيا والآخرة.

جعلنا الله في مواقعِ العمل بما علمنا جنداً لهُ وأنصارا، وآخر دعوانا أنِ الحمدُ لله ربّ العالمين.

كشّاف المسافر

- الإهداء
- تعزية وتهنئة
- كلمة الكتائب
- تمهيد
- من هو خطّاب؟
- خطّاب وأحلام الشباب
- خطّاب وعلوّ الهمة
- خطّاب بين المرح والحزم
- خطاب بين الرحمة والشدة
- خطاب ونصرة المظلومين
- خطاب مراسل أبكته عجوز
- أين مالك يا سامر؟!
- خطّاب حيّ يرزق
- رثاء في خطّاب
- ما هكذا الموت
- لا تحزن أيها الجبل
- يا خاطب الحور
- حينما يبكي الرجال
- أبو الوليد خلفاً لخطّاب
- خطّاب الحبيب
- فكر خطّاب ودعوته
- التدرج في دعوة خطّاب
- خطّاب رجل السياسة
- تاريخ جهاده
- ثوابت في جهاد خطّاب
- معالم فكره الجهادي

❁ النظريات الجهادية الثلاث عند خطّاب
❁ قاتل عدوك قبل أن يغزوك
❁ خطّاب الباحث عن الموت
❁ بين مُصعب وخطّاب
❁ قـــال أسدُ الجهـــاد
❁ أُمـــاه لا تبكيه
❁ رسالة إلى أم الخطّاب
❁ باقـــة إلى أمي
❁ ورحل سيف الإسلام
❁ كيف استقبل الإعلام نبأ استشهاده؟
❁ مستقبل الجهاد في الشيشان
❁ استشهاد خطّاب دروسٌ وعبر
❁ وصيـــة من نـــور
❁ الخـــاتـــمة.

الإهداء

إلى الرجال الذين يعيشون لغيرهم ويموتون لله، وخيرهم في نحيّه سادر.

إلى الذين يجعلون نحورهم دون أعراضهم.

إلى حراس الثغور وحماة المسلمين.

إلى حملة اللواء في زمن الشتات.

إلى المجاهدين في كل مكان.

نهدي هذا الثمر.

تعزية وتهنئة

نتقدم إلى أسرة القائد البطل "خطاب" سامر بن عبد الله السويلم بالجزيرة العربية،

وإلى المجاهدين في مشارق الأرض ومغاربها خاصة، وإلى أمتنا الإسلامية عامة،

بأصدق التهاني وأخلص التعازي بانتقال خطاب إلى رحمة ربه، مقبلاً غير مدبر، بعد أن أدى واجبه تجاه دينه وأمته في ساحات الجهاد. ونحسبه قد نال الشهادة التي كان يسعى إليها منذ سنين.

وندعو بالمناسبة إلى فتح سجل هذا البطل وتدوين تاريخه ونشره بين المسلمين ليكون نموذجاً للاقتداء في زمان هو أشد حاجة إلى أمثاله.

نسأل الله جل وعلا أن يجزيه خير الجزاء على ما قدم لهذا الدين، وأن يحشره مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.. وأن يخلف الأمة من يملأ مكانه ويسد ثغرته لقيادة المجاهدين نحو نصرٍ مؤزر وفتح مبين.

رحمك الله قائداً عزيزاً، وأثابك وأعلى في الجنان مقامك أن كنت علماً مسلماً عز نظيره، ومجاهداً بكل معاني الجهاد في سبيل الزود عن الإسلام، ونشر دعوته وتوطيد أركانه ورد كيد الكائدين عنه.

رضي الله عن أبي صالح وأرضاه في الجنة.

كلمةُ كتائب النور

الحمد لله الهادي إلى سبيل العزة والجهاد، قال في كتابه الكريم:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ. فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ.يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾

وصلّى الله على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمّد قائد المجاهدين. كانت له أمنية فقال:

" **والذي نفس محمّد بيده لوددت أن أغزوَ في سبيل الله فأُقتل، ثمّ أغزو فأقتل. ثم أغزو فأقتل** "

ورضي الله عن المهاجرين والأنصار، يحفرون الخندق حول المدينة وينقلون التراب على متونهم، ويقولون:

نحن الذين بايعوا محمّدا على الجهاد ما بقينا أبدا

والنبي صلوات الله وسلامه عليه يجيبهم، ويقول:

" **اللهم إنه لا خير إلاّ خير الآخرة فبارك في الأنصار والمهاجرة** ".

أما بعد، أحبتنا في الله تعالى:

بالأمس البعيد مات رجل من أصحاب النبي صلّى الله عليه وسلّم، فجعل أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، يثنون عليه ويذكرون من عبادته، ورسول الله صلّى الله عليه وسلم ساكت،

فلما سكتوا، قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: **هل كان يكثر ذكر الموت؟** قالوا: لا،

قال: **فهل كان يدع كثيراً مما يشتهي؟** قالوا: لا، قال: **ما بلغ صاحبكم كثيراً مما تذهبون إليه.**

وبالأمس القريب أصيب ضيغم المسلمين وأسد الجهاد في الشيشان القائد خطّاب.

هذا القائد الميداني الربانيّ، كانت له طريقة عجيبة في ذكره للموت، فقد كان يذكر الموت بجهاده! ولسان حاله يقول:

وأسيرُ نحو الموتِ معتدلَ الخطى كمسيرِ أهل الحبِ للميعاد.

شارك إخوانه في أكثر الغزوات والمعارك، بل وتقدَّم فيها، ليرى العدو منه غلظة في قتالهم، وليرى المجاهدون فيه قلباً ودوداً ينبض بقول الحق تبارك وتعالى: **وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاء .**

تقبّله الله من الشهداء، وجمعنا به في جنته، وجعلَ من دمائهِ وبذلهِ فتحاً قريبا، اللهم آمين.

أحبتنا في الله:

إنّ **العملَ** هو الذي يحدد قيمة المرء عند الله جلّ وعلا ومنزلته عند المؤمنين، **وَمَنْ أبطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ،** وليس الإيمان بالتمني، ولكن ما وقر في القلب وصدّقه العمل،

ومحل نظر الربّ جلّ وعلا من العبد قلبه وعمله، قال عليه الصلاة والسلام: " **إِنَّ اللَّهَ لا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ** ".

وفي الحديث القدسي: "**إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلا يَلُومَنَّ إِلاّ نَفْسَه**".

وعوامل انهيار هذه الأمّة على كثرتها لا تكاد تخرج عن أمرين اثنين: أولهما الانحراف الخطير الذي أصاب المفاهيم والحقائق، وثانيهما الفصام النكد الذي أقامه الناس بين علمهم بالحق والعمل به.

إنّ الإسلام اليوم بحاجة إلى رجال يترعون إلى الجدّ، يستعذبون التعب، ويرتاحون بالنَّصب، فيترجمون بصمت متطلبات المنهج الشرعي إلى واقع عملي، بعيداً عن الضوضاء التي قلبت الحق إلى جدل يكثر فيه التبجح بالكلام ويقلّ فيه نصيب المرء من العمل.. رجالِ النفوس الصادقة والهمم العالية والعزائم القوية التي لا تعرف إلاّ سَمْت التلقي للتنفيذ، فتأبى أن يقعدها الكلل، أو يدركها الملل، أو تنفق أعمارها في المراء والجدل.

واحذر أخي المكرّم أن يكون همّك العنوان، وأن تسلب لبّـــك الظواهر، واجتهد في إجهاد نفسك، فعند الأعمال تستبين معادن الرجال، وقل: ماذا قدمتُ لديني؟

فإنّ الله قد قال: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ**﴾،

واغتنم خمساً قبل خمس، فالعمر قصير، والأنفاس معدودة، واخش يوماً يقول فيه المتكلم:

﴿**رَبِّ ارْجِعُونِ، لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ**﴾،

فيُجاب: ﴿ **كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ** ﴾ .

واعلم أن ما مضى من الدنيا أحلام، وما بقي منها أماني، والوقت ضائع بينهما. فتفقد نفسك.

إن دولة الإسلام عزيزة غالية، لا يستحقها إلاّ الذين جعلوا أنفسهم وقفاً لله. ودون التمكين جسرٌ من العمل لا يجتازه إلاّ ﴿**مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ، فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً**﴾.

فاصدق الله يصدقك، وبنفسك فابدأ، فشمر على ساعد العمل فما نيل العلا بالأماني.

وصدق الله إذ يقول:

﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾.

وَآخِرُ دَعْوَانا أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِين

كتائب النور

تمهيد

إنّ الحمـــد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضلّ له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ آل عمران:١٠٢

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ والأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ النساء:١

﴿يَـــا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً. يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ الأحزاب:٧٠-٧١

ونصـــلي ونســـلم على سيدنا محمد المبعوث بالحكمة والموعظة الحسنة والداعي إلى الله على هدى وبصيرة، وعلى آله وأصحابه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين. وبعد،

مات خطّاب أم أنه لم يمت؟! قُتل خطاب أم لم يقتل؟!

هل حقاً وضع السم في طعامه؟ أم أنها رسالة فتحها فقتل؟! وهل هو سم "السيانيد" القاتل؟

هل هناك من غدر به؟ أم أنه اختراق أمني؟ أم أنها فعلاً عملية قامت بها فرقة خاصة للقوات الروسية في الشيشان، كما ذكرت وكالة الأنباء الروسية؟!!

В результате специальной операции, проведенной Федеральной службой безопасности в Чеченской Республике, уничтожен идеолог и организатор террористической деятельности - международный террорист Хаттаб.

وكيف هذا..؟ ولماذا الروس هم الذين بادروا بإعلان وفاته، قبل المجاهدين؟!! وكيف حصلوا على الشريط المصور؟!! هل من عميل أوصله إليهم؟!!

ثم كيف تجرؤ بعض المواقع الإخبارية العربية دون الأجنبية إلى اتهام تنظيم القاعدة باغتياله بحجة وجود خلافات؟!! ثم ما الذي دفع ببعض الاخوة –غفر الله لنا ولهم– إلى نشر صورة فوتوغرافية يشيرون بها إلى أحد المجاهدين الكبار بأنه قاتل خطاب؟!!، مع أن الروس أنفسهم هم الذين نشروا هذه الصورة في معرض الحديث عن تفجيرات موسكو وأن هذا "الإرهابي" الخطير هو الذي جهز وفجر ولكن المخطط كان خطّاب.

Фотодокументы разоблачают: находящийся в международном розыске исполнитель взрывов жилых домов в Москве А. Гочияев с организатором терактов - Хаттабом.

وتتباين التساؤلات وتتكاثر الأسئلة ككرة الثلج تتزايد كلما دحرجتها. ولعل مرجعها إلى كلمةٍ واحدة: **الإشاعة.**

ويجدر بنا الوقوف عندها كثمرةٍ أُولى ودرسٍ مفيد قبل البدء بقطف الثمر المستطاب في سيرة القائد خطاب رحمه الله.

- **تعريفها:** الإشاعة هي الترويج لخبر مختلق، لا أساس له من الواقع. أو تعمد المبالغة أو التهويل أو التشويه في سرد خبر فيه جانب ضئيل من الحقيقة وذلك بهدف التأثير النفسي في الرأي العام المحلي أو الإقليمي أو النوعي، تحقيقا لأهداف سياسية أو اقتصادية أو عسكرية على نطاق دولة أو عدة دول أو النطاق العالمي بأجمعه.
- **أركان الإشاعة:**

– **الغمـــوض في الحقـــيقة:** تـــبنى الشائعة عادة على جزء غامض من الحقيقة وعلى نواة من الواقع، فهي أصلاً لها أصل أحـــيانا. وينشـــأ الغمـــوض عن اقتضاب الأخبار أو عدم الثقة بها، لذلك فإن الإشاعة لا تسري على من يعلم الوقائع ويستطيع أن يتأكد منها.

– **أهمية الموضوع:** لا بد لموضوع الإشاعة أن يكون هاماً كي يتناقله الناس وإلا فلن تكون هناك إشاعة.

– **قوة الإشاعة:** تتناسب قوة الإشاعة مع حاصل ضرب الأهمية بالغموض **(قوة الإشاعة = الأهمية × الغموض)** وليس جمعها، بمعنى أنه إذا كانت الأهمية صفراً فلن تكون الإشاعة، وكذلك إذا كان الغموض صفرا.

- **دوافعها وأسباب ترديدها:**

– **نشوء** الإنسان في بيئة تعود أهلها أن يرووا أخباراً دون التأكد من صحتها.

– **الحرص** على تفسير الحدث تفسيراً مقبولاً مقنعا حتى ولو لم يملك الشخص عناصر هذا التفسير.

– **عجلة** الإنسان وفضوله وتلهفه على معرفة الأمور وعدم توافر الوقت الكافي لديه لتقصي الحقائق.

– **حب** الظهور يؤدي إلى اختلاق الشائعات و تحوير الحقائق، ليظهر الشخص أن لديه معلومات لا يعرفها أحد.

– **دافع** الحقد على الخصوم والمنافسين يؤدي إلى اختلاق الشائعات ضدهم.

– **عدم** القدرة على مواجهة خصم معين يقهره.

– **الإسقاط:** أو ما يدعى في علم النفس "البحث عن كبش فداء".

ومـــنها أيضـــا: دوافـــع عاطفـــية نفسية مثل الحب أو الكراهية لشخص ما أو جماعة. وكذلك الكبت والخوف وحب الاستطلاع.

- تصنيف الإشاعات:

– **حسب موضوعها:** كأن تكون شائعة سياسية أو عسكرية أو اقتصادية....

– **حسب بواعث دوافعها:** كإشاعات العداوة، والتفاؤل، وشائعات الأمن والخوف..وكذلك شائعات السلم وشائعات الحرب، وتقسم شائعات الحرب إلى: **الإشاعات الراغبة**" الحالمة". **وإشاعات تفريق الصفوف**"دق الأسافين"وهدفها بث الكراهية والعداوة وزعزعة الثقة.

– **وحسب سرعة انتشارها:** فهناك الإشاعة البطيئة، والسريعة، والغاطسة التي تظهر وتختفي ثم تعاود الظهور من جديد.

- **مقاصد استخدام الإشاعات في الحرب:**

- **استخدام بقصد التفتيت** ويقصد به تحطيم معنويات الخصم وتفريق صفوفه.
- **بث الفرقة والخلاف بين العدو وحلفائه:** كما فعل نعيم بن مسعود بالأحزاب.
- **زعـــزعة ثقـــة العدو برجاله وقيادته وعقيدته وبعدالة الهدف الذي يحارب من أجله:** ومن ذلك شائعة الإفك التي أطلقها المنافقون للتشكيك بعرض الرسول ﷺ والطعن برسالته.
- **استخدامها كطعم لاصطياد المعلومات التي يتكتم عليها العدو، وكذلك الحط من شأن مصادر إعلامه وتحطيمها.**

- **تحليل الإشاعة:**

لتحلـــيل الإشـــاعة لا بد من معرفة دوافعها، ولماذا تنتشر وما التشوهات التي تلحق بها أثناء تداولها. ويجب طرح أسئلة كثيرة تساعد المحلل في عمله. منها أسئلة حول الغموض والأهمية فيها وأيهما أبرز، وعن وجود التوتر الداخلي والعناصر المنطقية فيها، وما هدف الراوي منها، وهل فيها تواريخ وأرقام، وما هو أسلوب عرضها وبأي لغة ؟...إلى ما هنالك من الأســـئلة الكثيرة. وهذا كله للتفريق بين الشائعة والخبر، فالخبر يعتمد على البرهان والدليل القاطع أما الشائعة فإن برهانها باهت وغير واضح. **بعد كل هذا نقول أن الله تبارك وتعالى أكرم الشهيد خطّاب بالموت على فراشه ولم يُمكن العدو مـــنه في المـــيدان، وما أشبه خطّاب اليوم بخالد بن الوليد، قال: فلا نامت أعين الجبناء! وننصح إخواننا ألا يتخذوا مصادر العدو وأجهزة استخباراته مرجعاً إعلامياً لهم، فالخير موجود بقنوات الإعلام الحربي لدى إخوانكم المجاهدين.**

- **خاتمة:**

﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاّ قَلِيلاً﴾ النساء:٨٣

يقول سيد قطب رحمه الله في هذه الآية : " الصورة التي يرسمها هذا النص، هي صورة جماعة في المعسكر الإسلامي، لم تـــألف نفوســـهم الـــنظام، ولم يدركوا قيمة الإشاعة في خلخلة المعسكر، وفي النتائج التي تترتب عليها، وقد تكون قاصمة، لأنهم لم يرتفعوا إلى مستوى الأحداث، ولم يدركوا جدية الموقف..أو –ربما- لأنهم لا يشعرون بالولاء الحقيقي الكـــامل لهـــذا المعســـكر، وهكذا لا يعنيهم ما يقع له من جراء أخذ كل شائعة والجري بها هنا وهناك، وإذاعتها، حين يـــتلقاها لســـان عن لسان. سواء كانت إشاعة أمن أو إشاعة خوف..فكلتاهما قد يكون لإشاعتها خطورة مدمرة! فإن إشاعة أمر الأمن مثلاً في معسكر متأهب مستيقظ متوقع لحركة من العدو تحدث نوعا من التراخي..وفي ذلك التراخي قد تكون القاضية!

كذلك إشاعة أمر الخوف في معسكر مطمئن لقوته، ثابت الأقدام..قد تحدث فيه خلخلة وارتباكاً، وحركات لا ضرورة لها، لاتقاء مظان الخوف..وقد تكون كذلك القاضية!.

الحذر أخي المجاهد من خطر الإشاعة، وتذكر القاعدة الذهبية: لا تكن مع العدو ضدنا !!.

من هو خطاب؟

ميلاده واستشهاده

خطّـــاب، اسمه الحقيقي سامر بن صالح بن عبد الله السويلم.

مولده ونشأته: ولد خطاب عام ١٣٨٩ من الهجرة النبوية في مدينة عرعر شمال المملكة العربية السعودية، ينتمي لعائلة خيِّرة طيبة اشتهرت بالشجاعة والشهامة حتى أن جده عبد الله عُرِف في منطقة الأحساء بـــ "النشمي"، ولو لم تنجب هذه العائلة إلا خطاباً لكفاها شرفاً وسؤدداً! ولقد نزحت هذه العائلة من بلاد نجد إلى الأحساء عام ١٢٤٠هـــ وهناك ولد أجداده، وولد فيها والد خطاب صالح رحمه الله تعالى الذي انتقل إلى عرعر، وهناك ولد بطلنا خطاب، ومكث فيها حتى انتهى من الصف الرابع الابتدائي وعمره عشر سنوات، وفي عرعر كان والده يأخذه مع أخوته كل أسبوع إلى المناطق الجبلية يعلمهم الشدة والشجاعة، ويضع على ذلك الجوائز والحوافز ويطلب من أولاده العراك والصراع حتى تشتد سواعدهم وفي هذا الجو بدأت تظهر آثار النجابة والشجاعة على خطاب، ثم انتقل والده رحمه الله بأبنائه إلى منطقة الثقبة بالقرب من الخبر، وهناك تربى خطاب في حي مشهور أخرج دعاة وصالحين وهو حي" الصبيخة ".

وتوفي والد خطاب قبل سنتين، وكانت أمنيته أن يرى خطاباً قبل وفاته. نسأل الله أن يجمع بينهما في جنته، أما أمه فمازالت على قيد الحياة واسمها رسمية بنت إسماعيل بن محمد المهتدي وتبلغ من العمر ٥٨ سنة، وهي تركية الأصل هرب أبوها من تركيا عند سقوط الخلافة الإسلامية واستيلاء كمال أتاتورك على تركيا وفي سوريا ولدت أم بطلنا خطاب، ولا نقول لها إلا غفر الله لبطنٍ جاء لنا بخطّاب، ولخطّاب من الأخوة خمسة هو خامسهم في الترتيب.

وكان بيت خطاب كأي بيت في ذلك الوقت من جهة حب الدين والاهتمام بشعائره الظاهرة إلا انه كان يتفوق على كثير من البيوت بالاهتمام بالشريط الإسلامي والمجلة الإسلامية، وهذه كانت شبه معدومة في ذلك الوقت، ولهذا لا غرابة إذا قلنا أن البيئة مهيئة لإخراج القائد خطاب رحمه الله.

وكان رحمه الله يتحدث بأربع لغات، فيتحدث اللغة العربية و اللغة الروسية والإنجليزية والبوشتو.

واستشهد رحمه الله في أوائل شهر صفر من عام ١٤٢٣هـــ من الهجرة وله من العمر ٣٣ عاماً نسأل الله أن يرفع قدره، ويعلي درجته، وأن يكون شهيداً مضحياً في سبيل الله. آمين.

خطاب وأحلام الشباب

كـــان خطـــاب في بداية شبابه يحلم كأي شاب بالوظيفة والرتبة العالية ولهذا عرف بتفوقه الدراسي، حتى أنه تخرج من الـــثانوية العامـــة بتخصص علمي ومعدله أكثر من ٩٤% في النصف الثاني، وكان أمله أن يدخل شركة أرامكو بمنطقة الظهران شرقي السعودية في نظام (CBC) وهو نظام يتيح للدارس الإبتعاث إلى أمريكا وهي أمنية كل شاب في ذلك الوقـــت يـــرجو الرتبة العالية، وفعلاً تحققت أمنيته ودخل في ذلك النظام التدريبي وكان يستلم راتباً شهرياً قدره ٢٥٠٠ ريـــال وجلـــس على مقاعد الدراسة قرابة النصف سنة وكان من أميز الطلاب في فصله ونال إعجاب معلميه وزملائه. ولكن بعد أحداث أفغانستان الأولى ترك الدراسة وضحى بحلمه راجياً ما عند ربه متيقناً أن **من ترك شيئاً لله عوضه الله بما هو خير منه. وليس صحيحاً أنه درس في أمريكا وغادرها إلى أرض الجهاد.**

كـــان حلمه الذي يحدث به أقرانه أن يكون لديه قصر مساحته ٣٥٠٠ متر مربع يحتوي على مظلة تتسع لخمس سيارات إحداها سيارة كبيرة للعائلة، وسيارة أخرى حمراء له شخصيا يمرح عليها في الصحاري والبراري.

كـــان يحلم أن لديه عشرين قطعة أرض (بلوك كامل) يسكن فيه أبوه وأمه واخوته، غداؤهم واحد وعشاؤهم واحد، يمازحهم ويلاعبهم ويشكو إليهم، وكان يحلم بحافلة يجتمع هو وأخوته في الركوب عليها فهو يريدهم في حلهم وترحالهم بيـــتاً واحـــداً، كان يحلم بمجلس واحد يوحد معنى الجسد الواحد للعائلة يستقبل فيه الضيوف والزوار.نعم هذه أمنياته عندما كان شاباً في الثانوية. لم يكن والله يمل من تكراراها أو سردها عشرات المرات، فهو أليف حبيب والديه واخوته.

كان يحلم أن يكون من كبار شركة ارامكو البترولية وأن يشار له بالبنان ويحلم بذلك المكتب الواسع الفخم الذي تتمناه النفوس. نعم كانت هذه أمنياته يحدث بها الصغير والكبير. وسبحان الله ترك هذه الأحلام والآمال وترك القصور والحبور واتجـــه إلى كهوف يسكنها وأرض يفترشها وسماء يلتحف بها. ترك والديه وأخوته وأهله وهاجر إلى بلاد صار كل من فيها هم أخوته وأهله.

تزوج الأخوة والأخوات ومات الأب الصالح ومازال خطاب في غربته، إنها غربة المجاهد الذي قدم أغلى ما يملك وكأنها أرخص ما يملك، قدم روحه وأمانيه وأحلامه لله، لم يرد مالاً ولاحظاً من الدنيا. عاش هناك بهندام متواضع وملابس رثة بعد أن كان يحلم بفراش وثير وقصر مشيد. عاش هناك يطعم يوماً ولا يجد عشراً آخر ما يسد جوعته وهو الذي كان يجد في بلده ما لذ وطاب. كانت أمنية والده الرجل الصالح أن يرى ابنه قبل وفاته ولكن هيهات!! فأنّى يصل إليه خطاب وجموع المسلمين تستنصر به وترجوه نصرة إخوانه ؟!

انتظر ذلك الأبُ سنواتٍ وسنوات لعلّ يوماً يطل عليه من الباب وجه خطاب المشرق، ولكن عرف الوالد أن خطاب قد لجأت إليه الأمة بعد الله فدعا الله أن يلتقي به في جنة الخلد ومقعد الصدق، واحتسب أحب أبنائه إليه لله ولاشيء لغير الله، ثم فاضت روح والده ولم تتحقق أمنيته ونسأل الله أن يجمع بينهم في جنته سبحانه. ولقد صدق خطّاب والله عندما قال رحمه الله في إحدى المناسبات: **من عاش صغيراً مات صغيراً، ومن عاش لأمته عظيماً مات عظيماً.**

لقد شاء الله – جلَّ وعلا – أن يكرمنا ويتفضل علينا بأن نكون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وأمة محمد ﷺ لا يعيش أفرادها لأنفسهم، وإنما هي أمة أخرجت للناس، ولها وظيفة عظيمة تؤديها للبشرية:

كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ

وذلك يقتضي أن يشمر أفراد هذه الأمة عن سواعدهم ليقوموا بهداية الخلق إلى الحق.

إن مفاهيم الحق تبقى دمى في عالم الأشباح لا تجري فيها روح الحياة إلاّ إذا حملها أناس صادقون لا يرضون إلاّ بالموت في سبيلها، حتى إذا تمكن هذا المعنى من نفوسهم –كما تمكن من سلف هذه الأمة–، كان ما عبّر عنه الشاعر بقوله:

تلك آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا إلى الآثار.

خطّاب وعلوّ الهمّة

عن الحسين بن عليّ- رضيَ الله عنهما – قال: قال رسول الله ﷺ :

" إنّ الله تعالى يحبُّ معاليَ الأمورِ، وأشرافَها، ويكرهُ سفاسفَها ".

إنّ معاليَ الأمورِ وعرةُ المسالك، محفوفةٌ بالمكاره. ولا يستهينُ بالشدائد إلاّ كبيرَ الهمّة ماضيَ العزيمة.

إنّ عظيمَ الهمّة لا تهدأ نفسُهُ إلاّ حين يضع نفسَه في أسمى منزلةٍ وأقصى غاية، وإذا كان هذا الخُلُق لا يقعُ إلا على معالي الأمورِ **فلا** عظمةَ لهممِ قومٍ يبتغون النهايةَ في زينةِ هذه الحياة، ويغرقون في التمتّع بلذّاتها المادية. ولا يحتاجُ مجالٌ لعلوّ الهمّة ما يحتاجُه الجهاد في سبيل الله. وذلك لأنه يتطلبُ **رجالاً** وصفهمُ الله عزّ وجلّ بقوله:

صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً .

وقد ضربَ المصطفى ﷺ المثلَ الأعلى في هذا المجال، فلم يكن أحدٌ أقربَ إلى العدو منه.

أي أنه كان يقاتل في الصفوف الأمامية.

وهكذا كان خطّـــاب المـعـالي مثالاً في علوّ همته. أحبّ خطّاب لأخوته المسلمين في أفغانستان والشيشان ما أحب لنفسه: ترك الأهل والأحبة، وغادر ربوع الصبا وملاعب الشباب، لنصرة إخوانه الذين أحبهم في الله، على بعد ديارهم وتنوع لغاتهم وأعراقهم، ليقاتل معهم في خندقٍ واحد !

أُنموذج أنتَ ويالها من عادة !

سبحان الله.. لم تلتفت خلفك يوماً .. كم كنّا نعجب منك ومن جلدك !

إنّهُ ما أحوجنا في هذه الأيام إلى إحياء مثل هذه الروح الوثّابة والهمّة العالية في الجهاد ضدّ أعداء الله وأعدائنا في فلسطين ولبنان، والشيشان وأفغانستان وغير ذلك من بلادِ المسلمين التي يُدنّسها الأعداء.

خطّاب بين المرَح والحَزْم

يعجب الواحد منا لما يرى الأفلام الوثائقية التي يظهر فيها خطّاب، فجنوده متعلقون به تعلقاً شديداً، وتزيد غرابتك لما تعلم أنه حازم جداً في تعامله؛ ولكن الخطب يهون عليك عندما ترى مُزاحه معهم، فهو يمزح بلسانه ويده .. وترى فيه خفة الظل ورحابة النفس وحسن الخلق، فمرة تجده ينادي أحد أصحابه ويقول له: خذ هذا الشيء الواقع على الأرض، فإذا أنزل رأسه صب عليه " الشامبو " وسط فرح وسرور أصحابه.

قال عليّ بن أبي طالب – رضيَ الله عنه –: " من الدَّهاءِ حُسنُ اللّقَاء ".

أمـــا حـــزمه وانضباطه فيحدثنا عنها هو شخصياً حيث يقول: "لما جئت إلى الشيشان انضمت إليّ مجموعة من ٩٠ رجـــلا مـــن طلاب الشيخ فتحي الشيشاني حفظه الله، وصرفت أولاً منها ١٥ رجلاً ثم صرفت أيضاً ١٥ رجلاً، وبقي معـــي ستون، وحذرني بعض الأخوة من الطرد لأن الشيشانيين عندهم حمية، فلو ذهب بعضهم فاحتمال كبير أن يلحق بهـــم الآخـــرون، وفي يوم من الأيام نمنا؛ ولما أصبحنا إذا فرقة الحراسة نائمة معنا، وتركت مهمتها، وكانت ليلة باردة، فطلبـــت مـــنهم أن يخلعوا خفافهم، ثم طلبت منهم المسير إلى النهر، وكان العشب من شدة البرد كأنه عيدان يابسة، ثم ساروا وهم يكادوا أن يهلكوا من شدة البرد، فلما وصلنا للنهر طلبت منهم أن يدخلوا أقدامهم فيه تأديباً لهم، وبعد فترة أمرتهم بالخروج، وقد تجمدت أقدامهم حتى أن بعضهم سقط على ركبتيه من الإعياء والألم، وارتفعت أصواتهم علي حتى هـــددوني بالخروج وتركي، فقلت لهم لا مانع لدي حتى لو لم يبق معي أحد. مع أني كنت أخشى من ذهابهم، وبالتالي ذهـــاب أملي بتحرير تلك البلاد؛ ولكن يسر الله، فبقي منهم ستون رجلاً أخذوا دورة علمية مدتها ٢٥ يوماً، وهم الآن قادة السرايا وخيرة الجنود".

خطّاب بين الرحمة والشدة

الرحمةُ سببٌ واصلٌ بينَ الله وعباده، بها هداهُم، وبها رزقَهُم وعافاهُم. وهي دليلُ رِقَّةِ القلبِ وسُموِّ النفس، تُثمرُ محبّةَ اللهِ تعالى ومحبةَ الناس.

عجيبٌ أنتَ يــا خطــّاب. رأيناك وأنت تقتل العدو بقلب بارد. رأيناك وأنت تجهز على ملاحدة الروس. رأيناك تطلق النار مبتسماً، فقلنا: خطاب لا نعرف أحداً كان عذاباً على العدو منه. ظننا قلبك مملوءاً بالغلظة ومكسواً بالقسوة، فإذا جئت على معسكر إخوانك انقلب ذلك الأسد الضرغام إلى حمل وديع يحب المزاح حيناً، فمرة ضاحكاً ومرة باكياً ومرة حزيناً قل لي بربك كيف اجتمع فيك كل هذا؟!.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

خطّــاب هل تذكر عندما كنتَ طالباً في الثانوية كيف كانت سعادتك وأنت تحمل الصغار على ظهرك وصدرك؟ هــل تذكر وأنت تقول لهم **اركبوا على ظهري واضربوا رأسي**، وما علم هؤلاء الصغار أنهم قد ركبوا على ظهر واحد من أعظم قادة المجاهدين في القرن العشرين.

خطــاب هــل تذكــر ذلك اليوم الذي أغمي عليك لأجل قطة؟ أظنك نسيت وسوف أذكرك. ذلك اليوم الذي خرجــتَ لتركــب سيارتك وكانت هناك قطة داخل ماكينة السيارة فحركت السيارة فتقطعت القطة. لقد كان يومــاً عصــيباً عليك فقد حملك أخواك منصور وماهر وأنت كدت أن يغمى عليك، وقد تقاطرت الدموع على خديــك لأجــل تلك القطة وكنت تسأل وتصرخ هل هي ماتت؟ قل لي بربك ما هذا القلب الذي يبكي لأجل القطط ونحن في هذا الزمان لا نبكي لمذابح المسلمين؟!!. عفواً أميرنا خطّاب فقد أعجزتنا بقلبكَ الذي امتلأ ببغضِ الكافرينَ وبحبِ المسلمين.

خطّاب ونصرةُ المظلومين

عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أنهُ قال: قال رسول الله ﷺ :

" المؤمنُ مرآةَ المؤمنِ، والمؤمن أخو المؤمنِ، يكُفُّ عليه ضيعتَهُ ويحوطُهُ من ورائه ".

قال عمرُ بنُ الخطّاب – رضي الله عنه – :

" عليكَ بإخوانِ الصدقِ فَعِشْ في أكنافهم فإنهم زينٌ لكَ في الرخاءِ وعدَّة لكَ في البلاء ".

وقال بعضُ البُلَغَاء : " صديقٌ مساعدٌ، عضُدٌ وساعدٌ ".

عـــندما يرد علينا اسم خطّاب يتبادر لذهننا تاريخه الجهادي وكيف أنه هبّ دفاعاً عن إخوةٍ له خالفوه في اللغة والوطن وتوحدوا في الشريعةِ والدين، ولكنّا نغفل عن تاريخٍ مهم عاشه قبل التحاقه بالجهاد.

كـــان رحمـــه الله منذ أن كان صغيراً يكره الظلم وأهله حتى وردت عليه المشاكل من كل حدب وصوب بسبب حبه للنصرة حتى ولو على من هو أقوى منه. ونذكر الآن مجرد مثالين فقط توضح حقيقة هذا البطل:

– خـــرج مع أحد زملائه من الدراسة في شركة أرامكو وعندما وصلا إلى مواقف السيارات شاهدا خمسة من الرافضة يحـــيطون بشـــاب يريدون ضربه وقد أعدوا عدتهم من العصي الغلاظ فقال خطّاب رحمه الله لصاحبه السائق قف حتى نعينه، فقال صاحبه دعهم ونحن لا نريد المشاكل فأقسم ونزل من السيارة نصرة لذلك المستضعف ورفض صاحبه النزول لعدم رغبته في المشاكل، و لم يكن بيده أي شيء إلا استعانة بالله على هؤلاء الظلمة ثم تحرك هؤلاء الرافضة جهته فقاتلهم مدة لوحده وكلما ازدادوا في ضربه ازداد صبراً وثباتاً. يقول صاحبه الذي في السيارة: لم أصدق ما رأيت، إنه فعلاً كان بطلاً وخرج من هذا القتال وقد أثخنوه وأثخنهم رغم توحده وانفراده.

– حصل نزاع في فصله الدراسي في نفس الشركة السابقة بين طالب سني وطالب رافضي فتنادى الرافضة من كل مكان وأدخلهم الحراس الذي ينتمي بعضهم لهذه الطائفة واجتمع العشرات أمام المدرسة التدريبية، وكان عدد أهل السنة قليلاً جـــداً فخشوا من الغلبة، وكان يُسمَع خلف الصفوف صراخاً وصياحاً من شابٍ يقول لا تدعوهم والله لن اتركهم أبداً فـــلما نظـــروا خلف الصفوف وإذا بخطـــّاب قد استعد للعراك والقتال، وفعلاً اشتعلت النار بين الطرفين وكان أسدها كالعادة هو فارسنا خطّاب، ومن ذلك اليوم علت الناس رهبة وهيبة من هذا الشاب. **وزادَ حبهم واحترامهم له.**

خطّاب مراسل في التلفاز أبكته عجوز

جاءَ خطّاب إلى الشيشان لعلاج يده، ولم يكن ينوي الإقامة فيها، وكانت نفسه تحدثه بالانصراف عن الشيشان والرجوع إلى طاجكستان، ولكنه لما رأى الجهادَ بدأت نفسه تراوده في البقاء.. وجرت عادته- رحمه الله تعالى - على رسمِ خريطة حول كل منطقة يريد العمل فيها سواء من جهة الأماكن أو الطبائع أو العادات أو الأشخاص. ولما ذهب إلى الشيشان لم يكن يعرف حقيقة هذه المنطقة فجعل من نفسه كمراسل تلفازي يمر بين الناس، ويصنع معهم اللقاءات، ويلقي عليهم الأسئلة، ويتحسس المعاني المهمة في أجوبتهم، وقابل شامل باساييف بهذه الطريقة.

ولكن الموقف الذي هزّ شعوره، وحرك عواطفه هو لقاؤه معَ عجوز طاعنة في السن حيثُ سألها خطّاب:

ماذا تريدون من قتال الروس؟ فقالت العجوز له بلغة الواثقة: نريد أن نُخرجَ الروس حتى يرجعَ إلينا الإسلام، فسألها هل عندكِ شيء تقدمينه للجهاد؟ فقالت وقد كُسِرَ خاطرها: ليس عندي سوى هذا الجاكيت (المعطف) أجعله في سبيل الله. فجعل خطّاب يبكي بشدّة وتبتلّ لحيته بدموعه.

فكانت هذه العجوز سبباً في ظهور خطّاب الرمز لنا، فنسأل الله أن لا يحرمها الأجر، وأنْ يجعلَ معطفها مهراً تدخل به جنة ربنا، وأين هذه العجوز من الشمطاوات في إعلامنا اللاتي فسدنَ وأفسدن شبابَ الأمة.

وفي الشيشانِ نــاديتَ المعــالــي ... بصوتٍ ليسَ عنهــا بالغريبْ
سقيتَ ربوعــَها بدمــوعِ صَبٍّ ... بكى من حــالِ عالمنا المريبْ
تقــول لك الجبــالُ الشُمّ: أقبلْ ... بعزمِ الفــارسِ الحذِرِ اللبيبْ
أخا العزَماتِ في الشيشانِ يــا من ... ركبتَ إلى العُلا أسمى ركوبْ
رحلتَ عن الحــياة، فمــا جزِعنا ... برغم الحزنِ والدمعِ الصبيبْ
رضــينا بالقــضاءِ رضــا يقــينٍ ... وتسليــمٍ لغفّــارِ الذُنــوبْ

أين مالك يا ساهر؟

عُرِف خطّاب بـــ " صاحب الجيب الخالي " فلم يكن المال له حظ في جيبه منذ شبابه، وتعاهد أخوته أن لا يعطوه شيئاً إن طلب منهم شيئاً، ليس بغضاً فيه وإنما خوفاً عليه من كثرة ما ينفق. يقول أخوه ماهر حفظه الله: عاهدت نفسي أن لا أعطيه شيئاً لأننا لو أعطيناه فسينفقها على الناس كرماً ولكن الله أعطاه أسلوباً في الإقناع فيأتيني فيكلمني قليلاً حتى يأخذ ما لديّ فإذا خرج صحت لقد سحرني وأخذ مالي! لقد كان خطّاب صاحب كلمات حلوة وعذبة فلم نستطع يوماً أن نردّ له طلباً. وقال ماهر ممازحاً: يوم القيامة سأطالبه أمام ربي بما أخذ من مالي.

ويذكر أخوه منصور أن خطاباً أسكنه الله فسيح جناته انطلق يوماً بسيارته وفي طريق المطار شاهد مسلماً سودانياً يرفع يديه طالباً المساعدة فتوقف عنده وتبين أن السيارة أصابها العطل والرجل مسافر على الطائرة بعد قليل فقال خطاب رحمه الله: دع سيارتك وسافر وأنا سأسحبها، فوافق الرجل وهو خائف على سيارته حيث لم تكن بينهم صلة معرفة، وفعلاً سافر الأخ السوداني ثم قام خطاب رحمه الله بسحب سيارته واقترض مبلغاً من المال وأصلح السيارة بدون أن يعلم أحد، وعندما حضر السوداني كانت المفاجأة فالسيارة أصلحت وخطاب يرفض المبلغ فأصر السوداني على الدفع فصاح في وجهه خطّاب **نحن لا نريد المال** وخرج الرجل من البيت ووجهه يتهلل فرحاً.

إنّـــا نحســـب الرجل – والله حسيبه – طاهرَ القلب، صادق النية، نقي السيرة، طاهر السريرة، كان رحمة للمؤمنين، وعذابـــاً عـــلى أعـــداء الدين، فاللهم ارفع درجته في المهديين، واخلفه في عقبه في الغابرين، واغفر لنا وله ولجميع المسلمين. اللهم أفسح له قبره ونوّر له فيه.

خـطّابٌ حيٌّ يُرزق !!

نعم! بإذن القائل في تنـــزيله: وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ

لقـــد ذهب سامر بن صالح السويلم، يطلب الشهادة مظانّها، لا يشغله سوى هـــمّ الجهاد في سبيل الله ، ونصرة قضايا المسلمين في كل مكان.. وكـــأنما دخلت المصيبة بفقده كلَّ بيت، فهو تعبير شفاف صادق عن تعاطف المسلمين مع إخوانهم، وجهادهم ضد العدو المحتل، وسعيهم في تحرير أرضهم من الغاصبين.

لقد رحل سامر وترك زوجته الداغستانية ، وطفلته سارة " ٥ سنوات "، وصالحاً " ٣ سنوات"، وساجدة "سنة ونصف". دون أن يترك لهم شيئاً من متاع الدنيا الرخيص، وترك والدته المتصبرة التي تحس باللوعة وحرارة الفقد، ولكنها تدفع ذلك بقوة الإيمان واليقين، فتعزّي زوارها بدل أن يعزوها، وتدعو أبناءها إلى أن يقتدوا بأخيهم ويقتفوا سيرته ونهجه.

نعم !! رحل وترك لهم الذكرى الطيبة التي يحملها كل مسلم متابع لجهاد إخوانه في الشيشان، والذي أصبح الخطاب رمزاً من رموزه وعلماً من أعلامه، ولسان حاله يقول:

بالله يَا صِـــبيـــــتي لا تهلكوا جزعاً ... على أبيـــكم .. طـــريقُ المـــوتِ أقدارُ

تركتُكم في حـــمى الرحمنِ يكلؤكُم ... من يحْـــــــــمِهِ اللهُ لا توبقــْه أوزارُ

وهذه كلمات ترسم صادق الشعور تجاه هذا الرجل العظيم:

مـــا زلت في الشيشان طوداً شامخاً ... ليثـــاً هصـــوراً فارســـاً وثـــّابـــَا

كم ذا سفكتَ من ا لدماءِ دم العِدا ... رأت الجبـــــالُ فكبَّرت إعجابـــَا

ورحلتَ لم يُر من دمـــائِكَ قَطرة ... هل كان موتُك للعدى إغضابـــا!

ستظل يـــا خطـــابُ رمزاً للعُـــلا ... وتـــــــظل بدراً ساطعاً أحقابـــَا

ولئن قُتلـــــــتَ ففي العرينِ بقيةٌ ... ما زال شيـــــــمةُ أمتي الإنجابـــَا

وَلدَتْ بموتِكَ ألفَ ألفِ غَضَنْفَـــرٍ ... يتلون فينـــــــا الفتحَ والأحزابَـــا

نحن أمة تكتب مآثر عظمائها بماء الذهب

عهد ووفاء:

لـــم و لـــن ننســـاك أبـــا صـــالح! فـــإذا نَســـيَتْ أمتـــنا حمـــزة وجعفر وخـــالد وصلاح فستنسى خطّـــــاب.

ففي كل قطر من شعاعك جذوة تبدد بالنور المشـــع الدياجيا

خطّاب! لقد نُقِشتْ صورتك في ذهن أمتنا بأسرها، نُقِشتْ في ذهن ذاك اليتيم الذي ينتظر الثأر لوالده، نُقِشَتْ في مخيلة الثكـــلى الـــتي هُـــدِمَ بيتها وقُتِل زوجها، نُقِشَتْ صورتك في مخيلة ذاك الشيخ المشرد الذي يتطلع للرجوع لبيته وديارِه، نُقِشَـــتْ صورتك في مخيلة الشباب الذين يتطلعون للجهاد، كنتَ نعم المثال لعلو الهمة في زمن الإحباط، كنتَ جبلاً من العـــزة في زمـــن الذل والهوان، نُقِشَتْ صورتك في مخيلة كل كافر ورعديد جبان، نُقِشَتْ صورتك في ذاكرة المجاهدين كيف لا وأنت قائدهم. ما أجمل ذاك الصوت وهو يتردد على مسامع المجاهدين:"يا جند الله تقدموا-يا جند الله تقدموا".

دَعْنَا نُسافِرُ في دروب إبائنا ولنا من الهمم العـــظيمة زادُ

دَعْنَا نمتْ حتى ننالَ شهادةً فالموتُ في درب الهدى ميلادُ

خرج خطّاب خاطباً الجنة وناشدا الشهادة فأذاقه الله طعم الشهادة ونسأل الله أن يطعمه نعيم الجنة في الفردوس الأعلى.

لله درك يـــا خطّـــاب! أنـــت البطل الذي لا يبحث عن المنبر، علّمتنا أن الكلمات الكبيرة لا شيء فعلاً، ولكن الأفعال الكبيرة هي كل شيء، علّمتنا أن مقادير الرجال تبرز في ميادين النـــزال لا في منابر الأقـــوال.

فـــيا علماء الإسلام! لقد ضاعت بلاد المسلمين بقعةً بقعة، فابتلعت قطعةً قطعة، وتسلط على رقابنا الطغاة، ونحن ننظر كالمتفرجين... فهل تتحركون لإنقاذ الأمة؟

اللهم أقم علم الجهاد واقمع أهل الكفر والفساد، واقذف اللهم حب الجهاد في قلوب المسلمين، ولا تسلط عليهم بذنوبهم من لا يخافك فيهم ولا يرحمهم.

ما هكذا الموت ولكن هكذا الولادة

حرٌ نادر.. ليس كبقية الصقور التي تصيد لغيرها، وترضى من الغنيمة بقطعة. أسدٌ لم يحتويه قفص.

لهفي عليك أبا الخطّاب.. تعب الحديد و لم تتعب! وإذا كانت النفوس عظام.. تعبت في مرادها الأجسام.

ستبكيكَ كل أرض نزفت فيها قطرة دم دفاعاً عن حمى الإسلام وأعراض المسلمات.

و ستتنازع فيك كل أرض نكأت فيها عدواً، ورفعت فيها راية الإسلام.

ها هي صحراء غزني ما زالت تبحث عن الفتى الجريح الطريد الذي ضل طريقه بين قراها.

وجلال آباد تطالب بحقها في تلك الكلوم التي فديت بها ثراها، أما بلاد الطاجيك فقد رضيت ببعض بنانك.

فهل تفوز بك أخيراً أرض الشيشان؟! التي أحبتك فضمتك ولها عذرها!

خطاب أتنفر إلى كل أرض ينتهك فيها عرض مسلمة؟ تطول الغربة إذاً و يشط المزار.

أركضاً خلف العيناء التي سحرتك بنصيفها الذي هو خير من الدنيا وما فيها.

أم هي الحوراء التي لو أطلت على الدنيا لطمست نور الشمس ولملأت ما بين السماء و الأرض ريحاً.

و هل يطفأ ظمأك سوى ريقها الذي لو قطر في البحر المالح لأصبح عذباً فراتاً.

عجباً خطاب!

لو أمهلك الأجل، وانفتحت الأبواب المغلقة، فربما رأيناك تقود بعض كتائب النور وفصائل الجهاد في فلسطين، ولكن:

لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ . يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ .

قالوا: قتل أبو الخطاب!

قلت ذاك عنده أهون الخطب، وهل يبالي مثله أوقع على الموت أم وقع الموت عليه!

لقد ألف الموت أبا الخطاب، فهو يأكل و يشرب و ينام معه منذ سنين.

أبا الخطّاب، هنيئاً لكم الشهادة!

لا تحزن أيها الجبل

جلس على قمة الجبل كعادته، ينظر إلى اللامحدود، يعانق بصره الأفق، يتمنى لو فتحت السماء بابها ليعاين مترل الأحباب، كم من عزيز فقد، كم من حبيب رحل عنه إلى بلاد الأفراح، كم دفنت يداه من بطل شهم، كم دمعةٍ حرّى تدحرجت على وجنتيه لتبلل قبور الشهداء، كم من شظية قبّلت جسده المنهك فانتعش.. يظن أنها لحظة الرحيل لكي يلحق بأصابعه التي سبقته إلى منازل الأحباب ولكن بعد.. مرت نسمة هواء لتحرك جدائل شعره الطويل، تزاحمت الذكريات في ذهنه، استأذنت الدمعة في الخروج ولكنه على غير عادته أذن لها هذه المرة !

" **طال الفراق** ".. تلك تمتمته التي اعتاد الجبل أن يسمعها منه كلما زاره.

لا تحزن أيها الجبل الجالس على الجبل، لا تحزن .. فانتظارك الطويل ليس لجمع الأموال وغرس الأشجار.. انتظارك الطويل لأمر عظيم، فإن جاءت لحظة الرحيل كان تحليقك عاليا أكثر: إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً. لا تحزن، لا تحزن، فإن شوق الراحلين إليك أشد من شوقك إليهم! نعم أشد شوقاً، فمعدن الحياة هناك أصفى وأرق. لا تحزن، فكم من صائل رددته، وكم من معتدٍ لقنته درساً أحمر في الأدب، وكم من مظلوم مسكين أعنته، وكم من مكروب أنقذته، وكم من كافرٍ معتد أحرقته بنارك وقطعته بسيفك فكان كأمس الذاهب، وكم من يتيم مسحت دمعته وألبسته رداءك، وكم من حرة عفيفة استخلصتها من سجون الجبابرة.. لله درك من خطاب لا تحزن .. لله درّك من بطل لا تحزن .. لله درّك من أسدٍ لا تحزن.

لا تحزن، فحزنك يحزن الجبال التي حولك، والأشجار التي تحفك لا تحزن. ارحم هذه الطيور التي ما جاءت هنا إلا لتسمع نشيدك الذي طالما سمعته منك: "لبيك إسلام البطولة كلنا نفدي الحمى- لبيك واجعل من جماجمنا لعزك سلما". ارحم هذا الظبي الواقف على الشلال، ارحمه فإنه لم يقطع هذه المسافة البعيدة إلا ليتمتع بترنمك لسورة التوبة والأنفال. ألا ترى هذه الثلوج التي على تلك السفوح! أبت الذوبان لتسمع منك ما عودتها دوماً:

وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ . لا تحزن أيها الشامخ فوق الشموخ، لا تحزن أيها الصامد فوق الصمود، لا تحزن فقد زُفّت الحور واقترب موعد الوصال، وتجهز الأحبة لاستقبالك، وها أنت قد خيّمت في معسكر الأحباب. فهنيئاً لك يا خطاب. وألحقنا الله بك مع الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

يـا خـاطبَ الحـور

رأى الحســن البصري رجلاً يصلي وهو يعبث بلحيته، فسمعه يقول وهو في سجوده: " اللهم زوجني في الجنة من الحور العين ما تقر به عيني ".

فقال له الحسن رحمه الله : يا هذا ما رأيت خاطباً للحور أقل حياءً منك، تخطب الحور من الله تعالى وأنت تلعب ؟!

يا خــاطب الحور في خدرهــا وطالبــاً ذاك عــلى قدرهــا

انهض بجد لا تــكن وانــيــاً وجاهد النفس على صبرهــا

وقم إذا الليــل بــدا وجهه وصم نهاراً فهو من مهرهــا

نعم كيف نتوجه إلى العلياء، ونحن نرضى بالهوان، نرى الثريا، ونهبط للثرى !

لله درُّ الإقــدام عــلى معالي الأمور، كيف يرفع المقامات ويوصل برضوان ربّ السماوات، الذي يهبُ لصاحبِه كاملَ الأجرِ وإن لم يصل. قال رسول الله ﷺ: "من سأل الله الشهادة بصدق، بلّغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه".

خلقَ الله للحروبِ رجالا ورجالاً لقصعةٍ وثريدِ

ولله درُّ فارس الميدان، وعاشق الجنان، وخاطب الحور الحسان. ذلك الفتى الهُمام الذي خطبَ الحور الحسان في أفغانستان وخطبهُن في طاجكستان وداغستان وأخيراً في الشيشان، وما زال يخطبهن ويتحرّى خطبتهن حتى دُعيَ بين الناس **خطّابا**.

نسأل الله أن يتقبله في الشهداء، فإنه قد قدِمَ إلى ما كان يشتهي ويتمنى !

هنيئــاً أيــها البطلُ الهمامُ ظفرتَ بخيرِ مــا ظفِرَ الأنامُ

رحلتَ إلى الجنانِ بإذن ربي حللتَ بها فحيّــاكَ الكرامُ

فــيــا ربــّاهُ فاجــمَعــنــا ســويــاً بــفردوسٍ يطــيبُ بــها الــمقــامُ

شهيدٌ حيٌّ وحيّ يطلبُ الشهادة، هذه هي دعوتنا وهذا هو الطريق

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ.

أيّ شباب هؤلاء الذين زهدوا في الدنيا.. يعيشون لغيرهم ويموتون لله.

هـــمُ النجوم في ليل أمتنـــا، وكوكبهم كان خطـــاب.

آه .. كم تألم إخوانه لفراقه، وآه.. كم فرح أعداء الدين لغيابه.

ولكن حسبنا أنه من الشهداء الذين بذلوا أنفسهم من أجل الله تعالى.. فأبدلهم الله حياة خيرا من حياتهم التي بذلوها وجعلهم جيرانه، يبيتون تحت عرشه ويسرحون من الجنة حيث شاءوا.

سبحان الله وبحمده... بكيت يوماً شوقاً للجهاد في سبيل الله بصحبته، فكانت دمعتي سبيلا للالتحاق بكتائبه..

واليوم الله أسأل أن يجمعني به في دار الشهداء.

رحمك الله أيها القائد الحبيب وجزاك عن أمتك ودينك خيراً

و إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ

وأبشـــري أمـــة الإســـلام، ســـيولـــدُ المجاهـــدون حينما يبكي الرجـــال.

القائد أبو الوليد خلفاً لخطّاب

ولنا على دربِ الجهادِ شبابُ

عيّنَ مجلسُ الشورى العسكري في جمهورية الشيشان القائد أبو الوليد مسؤولاً عسكرياً للمجلس خلفاً للقائد خطّـــاب رحـِمَهُ الله، سائلين الله العلي العظيم أن يجعلَ التوفيقَ سلاحهُ وأن يجعله خير خلف لخيرِ سلف. وأن يحفظه وغيره من إخوانـِه المجاهدين الأخفيـاء، الأتقيـاء الأنقيـاء الذين لا نعلمهـم نحن ولكنَّ الله يعلمهـم.

اللهـــــــــــــــــــــــــــــــ انصر المجاهدين ـــــــــــــــــــــــــــــــم

اللهـــــــــــــــــــــــــــــــ انصر المجاهدين ـــــــــــــــــــــــــــــــم

اللهـــــــــــــــــــــــــــــــ انصر المجاهدين ـــــــــــــــــــــــــــــــم

كم لساحـــاتِ الوغى من بطلٍ حينما تدعـــو المنايـــا يَستجيبْ

حمحمـــاتُ الخيلِ أحلـــى نغم عندَه والعـــزم شمس لا تغـــيبْ

إن مضى خطّاب والناس غدوا في جليلِ الخطبِ من فقدِ الحبيبْ

فلـــنا ألـــف عريـــنٍ ملؤهـــا أُسدُ ساحـــاتٍ لـــها زأر مهيبْ

ولنـــا ذكـــراهُ تـــبقى مَعلمـــاً لم تغب يومـــاً ودومـــاً لن تغيبْ

خطّاب الحبيب

عرفتُكَ ما عرفتك منْ قريب ... ولكنَّ التعارفَ بالقلوب
وكم يحظى الفتى بالحُب منا ... على بُعدٍ ويوصفُ بالحبيب
أيا خطّاب أمتنا التقينا ... على حُلمِ المجاهد والأديب
قلوبٌ يا أخا العزَماتِ يَبقى ... لها من صِدْقِهَا أوفى نَصيب
نعم والله لن تلقى مُحباً ... لغيرِ الله يثبتُ في الدروب
قريبٌ من مشاعرِنا قريب ... فيا فرح المشاعر بالقريب
لئن بعُدَت بك الأحداثُ عنا ... ولم تمهلك أحوالُ الخطوب
فإنك لم تزل بالذكرِ حيّاً ... وبالعزماتِ والرأيِ المُصيب

فكر ودعوة خطّاب رحمهُ الله

قوامُ الدين بكتابٍ يهدي وبسيفٍ ينصر وكفى بربّكَ هادياً ونصيرا

كـــانَ رحمـــهُ الله سلفي العقيدة والمنهج، ويُصرّح بذلك في أشرطته الخاصة وجلساته العامة، ولكنه لم يكن متعصباً أبداً لمجموعـــته، فكتـــب الله له قبولاً لدى كل الاتجاهات الإسلامية بلا استثناء، و ينصحُ أهلها، ويقبل نصيحتهم، وله علاقة قويـــة بشيوخ المجاهدين من أمثال الشيخ عبد العزيز بن باز والشيخ محمد العثيمين والشيخ حمود العقلا رحمهم الله جميعاً وكان يستشيرهم في قضايا الجهاد والعلم والدعوة، ولهذا لم يعهد على مجموعته الجهادية في الشيشان بدع أو انحرافات أو خـــرافات، ولقـــد طـــارت عقول الصوفية منه وخشوا على مناصبهم أن تطير فتعاونوا مع الروس الغزاة لمنع فكره من الانتشار خاصة وأن الناس بدءوا يتأثرونَ به و بقوة.

ورأى خطـــاب أن الشيشـــان بلـــد خصـــبة للدعوة، فعمل محاضن دعوية لتكوين مجموعات دعوية جهادية على الخط الصـــحيح، فأنشأ " **معهد القوقاز لإعداد الدعاة** " حيث يلزم كل شخص بالانضمام إليه قبل قبوله في الجهاد فيخضع لـــدورة علمـــية مكثفة تقارب الشهرين، ثم ما لبث أن تكاثر الناس عليه يريدون العلم و الجهاد حتى وصل عددهم إلى ٤٠٠ طالـــب جـــاءوا من التتر، وداغستان، وطاجكستان، وأوزبكستان، والأنجوش وغيرها، وهذا ما أفزع روسيا. ثم تطـــور العمـــل فأنشـــأ رحمه الله **داراً لتحفيظِ القرآن**، ووضع برنامجاً لإعداد الدعاة، وبرنامجاً آخر لإقامة محاضرات في القـــرى، ودورة للتعلـــيم الأساســـي، ودورة لـــرفع مستوى الدعاة، وكما قال رحمه الله : **رأينا أثر هذا العمل على المجاهدين في تضحياتهم وبذلهم .**

وبهـــذه صـــارَ الجهادُ في الشيشانِ مضرب الأمثال، فلا نزاع ولا تفرّق ولا تشرذم. كلّهم على قلبِ رجلٍ واحد، وجعلوا لهم مفتياً لا يتجاوزونه أبداً وهو الشيخ أبو عمر السيف الخالدي حفظه الله تعالى.

التدرج في دعوته للناس

ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ

قـــاتلَ في أفغانســـتان، و لم نســـمعْ أنـــه تقاتلَ مع أحد الأفغان لخلافٍ عقدي رغم انتشار التصوف فيها، ثم قاتل في طاجكســـتان تحـــت قيادة عبد الله نوري، ورغم سيادة التصوف هناك إلا أن الناس تعلقوا بخطاب حتى دبَّ الحسد في قلـــوب بعض المنافقين كالقائد رضوان والذي وصفه خطّاب بأنه " أمير حرب خبيث "، وعندما وصل للشيشان دعاهم للصلاة والزكاة وقراءة القرآن، و لم يدعهم إلى أي مسألة عقدية، فلما تمكن هناك وصار حبّه في قلوبِ الناس كلّهم أنشأَ المعاهدَ العلمية التي تعلم العقيدةَ الصحيحة.

وكـــان يحـــذر أصحابه من الخوض فيما يثير الناس في بدايةِ جهاده في كل منطقة، فإذا رأى من الناس إقبالاً على الخير دعـــاهم بعـــد ذلك إلى العقيدة الصحيحة، ولهذا منع أصحابه من الذهاب إلى الأسواق، والدخول للمدن والقرى لأن التصـــوف قوي في تلك البلاد، فخاف أن يقوم مشايخ الصوفية بإثارة الناس عليهم، فكان هناك من يقوم بالذهاب إلى الســـوق كل يومين ليقضي حاجات المجاهدين، بل إنه لم يذهب إلى جروزني في بداية حياته هناك إلا مرة واحدة، وبعد إصرار من القادة الشيشانيين **لحضورِ حفل تكريمٍ له.**

ورغم محاولة مشايخ الصوفية استثارته إلا أنهم فشلوا، فوصفوه بأنه وهابيّ أكفر من اليهود والنصارى، وزعموا أنّ جهاده أيام دوداييف باطل لأن حرب دوداييف حرب وطنية فقط.

وقـــد حارب تحت راية جوهر دوداييف الرئيس الشيشاني السابق، ولكن كان له برنامج خاص لمجموعته، واعترض عليه في بدايـــة جهـــاده في الشيشان بعض الدعاة، فقالوا : **كيف تقاتل مع صوفية وحلولية**، فكان يحدِّث أصحابه أن هؤلاء حديـــثي عهـــد بكفـــر وإلحاد، فلا تعجلوا، **واستطاع أن يقنعهم كعادته في أسلوب الإقناع** وهو الذي قال فيه أحد زملائه: لو قال خطّاب عن كأسِ اللبن إنه ماء لصدقته، وهذه من نعمةِ الله عليه.

خطّاب رجل السياسة

المتتبع لسيرةِ خطّاب سواء من خلالِ أحاديثه على الأشرطة أو تصريحاته الصحفية، يعرفُ يقيناً أن هذا الرجل متشبعٌ بالفكرِ السياسي الذكي، واستطاع من خلال هذا الشيء أن يحفظَ الجهاد الشيشاني، بل وأن يقدمَ له الانتصارات العسكرية المهمة، ونستطيعُ في هذه العجالة ذكرَ نقاطٍ حسّاسة جداً تعاملَ معها رحمهُ الله بالعقلِ الواعي والفهم السليم والفكر الحاذق :

– كان يرفض رحمه الله فكرة تدويل القضية الشيشانية، لأنه يعلم أن الغرب الكافر لن يأتي إلا بِشَر، حيث أخذ دروساً مهمة من الجهاد في البوسنة وكيف أن ثمرة الجهاد دُمرت من خلال اتفاق دايتون الأمريكي الظالم، وإن كان أحياناً ينادي المجتمع الدولي بالقيام بواجباته تجاه الشعب الشيشاني، وكان يقول هذا من باب المناورة السياسية فقط.

– محاربة أي تدخل للأمم المتحدة في شؤون هذه الجمهورية خاصة وأنه يعلم أن هذه المنظمة أداة مطيعة في يد أمريكا، والتي لا يشك أي مسلم في بغضها وكرهها للإسلام وأهله، وهذا لا يمنع من تصريحات يصدرها أحياناً يعيب فيه هذه المنظمة لتخاذلها عن نصرة شعب الشيشان، وكل هذا كما قلنا يريد به مناورة فقط، وكذلك يريد أن يعري حقيقة هذه المنظمة أمام الشعوب المسلمة، وكيف أن لها وجهين وجه العطف والمحبة مع الكفار ووجه البغض والمحاربة ضد المسلمين.

– كان لا يستعدي الدول الإسلامية ضده، وهذه من أهم الأشياء التي حافظ بها خطاب على بقاء جهاده، فهو لم يسب حاكماً مسلماً بعينه في أي تصريح من تصريحاته، وهذا الذي جعل الحكومات المسلمة لا تحاول ملاحقة أتباعه ملاحقة دقيقة. نعم قد يحصل تحقيق وسجن ولكن كانت هذه الحالات قليلة إذا ما قورنت بما حصل في حرب أفغانستان القريبة، وكانت بعض الدول العربية قد تغض الطرف أحياناً عن مسألة جمع التبرعات لذلك الشعب والتي بدورها تصب في ميزانية جهاده.

– اســـتطاع ضـــبط رفاقه بعدم التعدي على الدول الإسلامية وغير الإسلامية غير المعنية بالنزاع، فلم يعهد عن أحد من أتـــباعه أن قـــام بعمل في أي دولة مسلمة بل ولا حتى الدول الكافرة، ولهذا لما طالبت روسيا من بعض البلدان العربية بمحاربـــة الإرهـــاب بدعوى أنه هو أساس الحرب الشيشانية لم تستجب لها ولا دولة، وكان موقف هذه الدول التهكم بذلـــك الطلـــب علانية، وبهذه الطريقة نجح خطاب بدرجة عالية من التخطيط أن يحصر عداوته مع الروس فصار العدو واحداً فقط، وهذا هوَّن عليه المهمة الجهادية.

– جعـــلَ القيادة العسكرية بيد الشيشانيين مع أنه أكثر شخص مؤهل لها، والسببُ في ذلك أن الشعب الشيشاني عُرِفَ بحميـــته لأرضه وعرقه، فخشيَ أن يكون ذلك مدخلاً لخلخلة الجهاد من خلال العملاء والخونة الذين يجيدون هذا النوع من المكر، وكذلك كان هناك الصوفية يحاولون نزع الإجماع الشعبي من حوله بالتذكير بأصله غير الشيشاني، وقد دخل تحـــت قـــيادة جوهر دوداييف القائد الشيشاني السابق، وأُعجبَ خطّاب به لخفة نفسه وحسن تعامله، وارتفع في نفسه عـــندما سأله قائلاً : **ما هو هدفكم من الجهاد ياجوهر دوداييف ؟** فقال القائد الشيشاني: **كل طفل من القوقاز هُجِّر إلى المهجر عشرات السنين يحلم أن يرجعَ الإسلامُ إلى أرضه.**

– وسّـــع محيط الجهاد من خلال وضع مجلس واحد لداغستان والشيشان، وهو يريد بذلك توسيع محيط الرقعة الجهادية لأن الشيشان بلد صغير جداً، كذلك استطاع بهذه الطريقة أن يحرك عدداً هائلاً من الداغستانيين للجهاد، فتشتت جهود روســـيا مـــن خلال توجيه الضربات الخطافية من عدة بلدان بدلاً من بلد واحد، واستطاع بهذه الطريقة تخفيف الضغط العسكري عليه وعلى مجاهديه.

– أحـــيا حُبَّ الجهاد والاستقلال في نفوس الشعوب المسلمة في آسيا الوسطى من سيطرة الحكومات الشيوعية العميلة، ولهـــذا صارت مَعَاهده روضة طيبة يُستقبل من خلالها طلاب ومجاهدو التتر والداغستانيين والطاجيك والأوزبك وغيرهم من شعوب القرم، فصارت نبتة طيبة تنمو في الجمهوريات الإسلامية.

– كـــان يكـــره الالـــتحامَ مع المخالفين ممن ينتسبون إلى الإسلام حتى لا يُنْشَغل بالمسلمين عن عدوهم المشترك، فيمنع الـــتعرض للجماعات السنية بأي سوء حتى لا يحصل التشرذم والتفرق، ولهذا كان إذا سمع أحداً يخوض في هذا يقول له: **عجـــباً لـــبعض الناس سلم منه الملاحدة والنصارى ولم يسلم منه إخوته المسلمون !** وعندما كان في طاجكستان حاول القائد الطاجيكي العسكري رضوان التحرش به والإساءة إليه، ورغم طلب الأخوة من خطّاب أن يردَّ عليه إلا أنه رحمه الله طلب منهم أن لا يشغلهم هذا القائد الحاسد عن قتال الشيوعيين .
حتى أنه عندما جاء إلى الشيشان، كان ٦٠% من طلابه ومجاهديه صوفية، ثم لبثَ معهم فترة حتى صحّح معتقدهم رغبة منهم واقتناعاً.

تاريخُ جهاده

لا نعرف في القاموسِ كلمةً يَطرب لها قلب المسلم مثل كلمة الجهاد !

الـــتحق خطّـــاب رحمه الله بالجهاد الأفغاني عام ١٤٠٨هـــ بعد رمضان مباشرة حيث ترك دراسته في شركة أرامكو البترولية وكان رحمه الله يحرص على التوثيق السريع بعلاقاته مع المجاهدين. ولهذا لما انطلق من السعودية أخذ معه وثيقتين للتعريف به. الأولى من مدير مكتب خدمة المجاهدين في الدمام، والثانية من أحد الأشخاص الذين يعزهم مسؤول الهلال الأحمر السعودي في باكستان. وبقي هناك شهرين ثم رجع وحج وعاد مرة أخرى إلى أفغانستان. وصل شهيدنا إلى أرض أفغانستان وهو لم يتجاوز بعد سن السابعة عشر من عمره وما أن وصل حتى طلب أن يكون في الصفوف الأولى للقتال فطلـــب ذلـــك من أحد القادة الميدانيين فرفض أن يلبي له طلبه حيث أنه كان صغيراً و لم يتدرب ... وعند ذلك توجه خطّاب إلى مراكز التدريب فأتقن استعمال السلاح بسرعة فائقة وكان لديه رغبةٌ شديدة في معرفة أي سلاح يُثخن في أعـــداء الله . وبقـــي فيها إلى نهاية الجهاد عام ١٤١٢هـــ ولكنه رجع خلال تلك الفترة للعلاج من إصابة أصابته أثناء إحـــدى المعارك الأفغانية. وظهرت حنكته وبراعته في مدينة لوجر الأفغانية، وولي قيادة "**سرية أحد**" التي أصبحت فيما بعد نموذجاً يحتذى به في سرايا المجاهدين. ثم انتقل بعد ذلك إلى طاجكستان لمدة سنة واحدة، حتى أصيب في معركة من المعـــارك، وقطعت إصبعين من أصابع يده اليمنى بسبب قنبلة يدوية، واضطر إلى الذهاب إلى الشيشان لعلاج يده واستقر به المقام والجهاد هناك.

هكـــذا بـــدأ المشوار الجهادي عند خطّاب، فدخل جبهات القتال وحارب وقاتل الروس والشيوعيين من خلال الكمائن والعمليات والغارات فحارب الروس وحارب قواتهم الخاصة ، كما أنه حضر أغلب العلميات الكبرى في الجهاد الأفغاني مـــنذ عـــام ١٩٨٨م ومـــن ذلك فتح جلال آباد وخوست وفتح كابل في عام ١٩٩٣م وقد نجا من الموتِ عدة مرات بأعجوبة ولكنه كان على يقينٍ أن وقته لم يحن بعد .

إنَّ الطريقَ طويلٌ وأثناءَ السيرِ على هذا الطريقِ الطويلِ يَملُّ مَنْ يَملّ، ويسقطُ مَنْ يسقطُ، ويتراجعُ مَنْ يتراجعُ، ويبئسُ مَنْ يبئسُ، وتبقى ثُلّةٌ مؤمنةٌ تصبرُ لأمرِ ربِّها تصمدُ لأهوالِ الطريقِ ومشقةِ الجادة، حتى إذا شاءَ اللهُ فَتَحَ على عبادِه.

ثوابت في جهاد خطّاب رحمه الله

لم تُخلقْ رقبةُ المسلمِ للانحناء إلاّ في صلاةٍ لربٍّ الأرضِ والسماء !

لم يكن المجاهد والقائد خطّاب رحمة الله عليه، يقاتل بأسلوبٍ عشوائي، أو يجاهد انطلاقا من عاطفة غير موزونة، بل كان في جهـــاده عـــبر سنواتٍ طويلة ينطلق من ثوابت واضحة وأكيدة استمدها من كتاب الله و سنة النبيّ ﷺ وتعلمها من إخوانه المجاهدين الذين التقاهم عبر خمسة عشر عاما من الجهاد المتواصل.

وفيما يلي نذكر أهم الثوابت في جهاد القائد خطّاب :-

أولاً الجهـــاد لـــيس مرتبطا بحياة القائد، إن بقي يمضي الجهاد في طريقه، و إن قتل ضعف الجهاد، و هذا أمر كان خطاب رحمه الله يؤكد عليه، لأنه يعلم أنه من الممكن أن يلقى حتفه في أي لحظة، و قال في أحد الحوارات معه:

" همم المسلمين لا تضعف باستشهاد القادة، بل تقوى بفضل الله لأن العمل لله عزّ وجلّ و ليس للأشخاص " ...

ثانياً الجهاد هدفه الأول إقامة شرع الله عزّ وجلّ، هكذا كان خطّاب يعتقد، و يظهر ذلك جليا في مراحل كثيرة من حياته و كـــلماته، فقـــد ذهب هو و إخوانه لكي يدعموا المسلمين في القرى الداغستانية التي أعلنت إقامة الشريعة، فأعلنت روســـيا الحـــرب عليها. كما أنه ذكر أكثر من مرة أن تطبيق الشريعة هو الهدف الرئيس للجهاد في الشيشان، ويقول خطـــاب: "لا تـــريد أيّ دولـــة أن تنفّذ قوانين الله اليوم، كانت أفغانستان في حالة حرب لمدّة عشرين سنة، و القرار المـــأخوذ مـــن قـــبل طالبان ، سواء سرّ الولايات المتّحدة الأمريكيّة أو لم يسرهم، هو قرار على أساس الشريعة، إنهم يتحدّثون لغة الشريعة، والدول العربية ومواطنوهم المسلمون سوف يساندون أفغانستان، إنّ غرضهم هو الشريعة، ليس هـــناك اختـــيار للمســـلمين اليوم، يجب حماية الشريعة، حتى عند سجودنا في الصّلوات، واجبنا هو حماية الشريعة التي تحقّقت في أفغانستان، و هؤلاء الذين سوف يحاولون أن يكسروا الشريعة، ينبغي أن يدفعوا ثمنا كبيرا"..

ثالثاً لا سبيل للتفاوض مع أعداء الله، و لا يمكن أن يجلس المجاهدون مع قتلة المسلمين على مائدةٍ واحدة لكي يخرجوا بقرارات وهمية، يذوب أثرها قبل أن يجف حبرها. و يقول خطّاب رداً على احتمال التفاوض مع الروس: " لم نناقش هذا السّؤال أبدًا و ليس لدينا وقت له، لا يفكّر المجاهدون في المفاوضات. كما قال شامل سوف يكون كل شيء طبقًا للشريعة، و أي شيء يكون هكذا سيتقبله المجاهدون، و أيّ شيء ضدّه لن يقبل، إذا غادرت جيوشهم فذلك ممكن، لكنّ بينما تكون جيوشهم هنا، حتّى على متر واحد لهذه الأرض، الحرب لن تنتهي، من يريد دعه يتكلّم معهم، و من هو جاهز فليتفاوض، و لكنّ يجب أن لا تبقى هنا ولا أيّ وحدة هندسة، و لا جنديّ ، لا ينبغي أن تنتهي المفاوضات، كما في الحرب الأخيرة " ... و في مناسبة أخرى قال خطاب: " لقد حاول القادة الميدانيون من قبل حل القضية بطرق المفاوضات طبقاً لشروط دولية والنتيجة أن الحرب كانت مستمرة بشكل آخر ضد الشعب الشيشاني وشباب القوقاز المسلم في داغستان وقرتشاي وأنغوشيا وسائر الجمهوريات، وكما قال أخي شامل باسايف – حفظه الله – أن الجميع على قناعة تامة أنه لا يوجد حل إلا بتطبيق الشريعة الإسلامية ومحاكمة روسيا ومجرمي الحرب فيها ولو بعد حين"..

رابعاً لا انتهاء للحرب مع الكافرين إلا بأن يزال الضرر الواقع على المسلمين، و أن ترجع إليه حقوقهم، وأراضيهم، ويستردوا حريتهم، أما وضع نهايات أخرى ملفقة للحروب، فذلك أمر من قبيل الخداع، لا ينبغي الاستجابة له، وفي ذلك يقول خطاب رحمه الله ردا على سؤال حول قدرة المجاهدين على الصمود و متى تنهي الحرب بالنسبة لهم : " نعم – إن شاء الله – فلو لم تكن عندنا القدرة على ذلك لما دخلنا (داغستان) لنجدة إخواننا في مناطق إقليمي (بوتليخ) و (كراماخي) لقتال الجيش الروسي المريض الذي أوقف الحرب في سنة (١٩٩٦م) بعد دخول المجاهدين (جروزني) للمرة الثالثة، وحصار القوات الروسية فيها من كل مكان، وضرب قوافلهم عدة مرات، وهذا السؤال الأحرى أن يوجه إلى قيادة الجيش الروسي المتهالك: هل عندهم القدرة على مواصلة القتال ضد المجاهدين أم لا؟ أما إلى متى هذه الحرب؟ فنحن نقول حتى يباد الجيش الروسي في القوقاز وما ذلك على الله بعزيز ".

خامساً القائد ليس منصبا مريحا، و لا يعني الأمان أو الابتعاد عن أوجه الخطر، بل بالنسبة إلى خطاب القيادة معناها مزيد من التضحية، و الفداء لإخوانه من كل خطر، القيادة هي مسؤولية و ولاية تولاها على المسلمين، فعليه أن يكون ناصحا لهم، و هكذا كان خطاب رحمه الله، كما يروي عنه رفاقه، و يقول أبو عمر النجدي في مقالاته عن الانحياز من جروزني، والصعاب التي واجهوها في ذلك، : " قام القائد خطاب حفظه الله برصد الطريق بنفسه لضمان سلامة الطريق، وسهر الليالي الطوال المتواليات يفكر في أمر الجرحى والمرضى والأصحاء على حد سواء، ولا غرابة في ذلك فقادتنا يسيرون على نهج المصطفى ﷺ ويقتدون بأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين "، ويقول في موضع آخر: " كان القائد العام حفظه الله يبحث لنا عن طريق سهل علينا يحافظ فيه على قوانا وطاقتنا فعرض نفسه للخطر أكثر من أربع مرات كل ذلك حتى يجنبنا الإرهاق وذلك بصعود جبل شاهق كان يعرف أنه سينهك قوانا لو سلكناه أولاً فحاول الاستبقاء على قوانا ولكن دون جدوى، فأمرنا أخيراً بعد المحاولات مضطراً الصعود إلى الجبل الذي تجنبه أولاً "، أما خطّاب نفسه، فيقول رداً على سؤالٍ حول اتهام قادة المجاهدين بأن لهم اتصالات سرية مع الروس:

" كلّـــنا في أيدي الله. هنا نحن – واحد بدون رجل، آخر بدون يد، و الثالث بدون عين، جروح، وشلل. نحن بين المجاهدين، نشـــارك في العمليّات، نطلق النيران من مسدّسات ونستخدم القنابل اليدويّة، والمدافع الرّشّاشة وباختصار أكبر، نقاتل بمعـــية الآخرين، ونحن في المقدّمة مثل المجاهدين الآخرين. عند الخروج إلى المعركة نطلب من الله الشهادة في سبيله. كلّ الأمـــور الأخرى هي أقاويل لا أساس لها، من يريد أن يعمل في طريق اللّه دعه يأتي هنا ليرى كيف نجاهد، كنّا في كلّ مكـــان حيـــث كانت هناك مشاجرات مكثّفة. من جرح في البداية؟ كان هؤلاء شامل وحرّاسه، ومن الأوّل للمرور فـــوق الألغـــام؟ كانوا القادة، و قد استشهد الكثير، أصدقاء أكثر حميميّة لأصلان بيك وشامل والآخرون فقدوا، من انفجـــر، من جرح، و من أسر؟ نحن لن نمدح و نخصّص كلّ شخص، لكن الحقيقة أن أمراء كثيرين أصبحوا شهداء و هم ينقذون مجاهدين " ...

سادساً وحـــدة الصـــف هي دعامة أساسية في مواجهة عدو غاشم و ملحد كالروس، وعندها ينبغي التغاضي عن أي خلاف سياســـي، واعتـــبار أن الجمـــيع في خندق واحد، و كان خطاب رحمه الله رغم ما بينه، وبين أصلان مسخادوف من اخـــتلافات كثيرة في المواقف أو الرؤى، إلا أنه كان يحرص على إظهار وحدة الصف، وأن الخلاف أمر طبيعي، والمهم أن يكـــون الجمـــيع في نفـــس الخـــندق، يقول خطاب عن مسخادوف: " أصلان مسخادوف هو رئيس الجمهورية الشيشـــانية كما هو معلوم ، أما عن وجود خلافات، فلا يخلو قوم منها وهذه من طبيعة البشر، ولكن المهم أن الجميع يـــد واحـــدة وعلى قرار واحد في مواصلة الجهاد ضد الجيش الروسي الغاشم حتى نهايته، وهذه بداية النهاية بإذن الله تعالى "...

سابعاً لا ينـــبغي للقـــائد أن يصاب باليأس أو القنوط من رحمة الله تعالى، حتى و هو في احلك الظروف، وعليه أن يبذل كل الجهـــد لـــلخلاص من الأزمة، دون أن يبدي هلعا أو يثير الفزع في نفوس الإخوان، وكان خطاب رحمه الله ذا إرادة حديديـــة لا يعـــرف الـــيأس لقلبه طريقا، و في حصار جروزني الشهير، لما ضاقت السبل بالمجاهدين، لم يدفعهم ذلك للاستســـلام أو التخاذل، بل صمدوا، حتى تحقق لهم الانحياز بما يشبه المعجزة العسكرية، و يقول خطاب نفسه واصفا إحـــدى المواقف العصيبة أثناء ذلك: " أرسلت الأخ أبا عمر النجدي فضلّ الطريق وانقطعت أخباره عنا، ثم ذهبت أنا وأبـــو الولـــيد لنرصـــد الطريق فلما وصلنا إلى إحدى الغابات في الليل لمحنا ناراً من خلال الأشجار فظننت أنهم من المجـــاهدين، فـــلم أتقـــدم خوفاً من أن يظنونا من الروس فيرموا علينا، و لم أتوقع أنهم من الروس فلم يكن لهم من قبل أمـــاكن كهـــذه، فـــتقدم أبو الوليد إلى ثلاثة أمتار منهم وقال السلام عليكم ثلاث مرات ولكن لم يردوا فتراجع إلى الخلف وفتح أمان السلاح، ثم أرسلت أحد الإخوة الشيشانيين لكي يتفاهم معهم بالشيشانية فبدأ الروس بإطلاق النار، وجـــرح أحد الإخوة الشيشانيين وانسحبنا من المكان، وقبل هذا كنت بجوارهم أتكلم في جهاز اللاسلكي لفترة طويلة ولكـــنهم لم يسمعوا، ثم بدأنا نبحث عن طريق آخر وصعدنا إلى قمة أخرى لنسلكها وعند السير فوجئنا بكمين آخر للـــروس، وبدأ إطلاق النار قتل فيه أحد الأخوة، وجرح الأخ أبو الوليد في ظهره ثم انسحبنا لنبحث عن طريق ثالث ، وعلمـــنا أن الطريق الذي نحن فيه لا يصلح لوجود الروس فيه بكثرة، فأرسلنا أحد الإخوة الشيشانيين فرجع و لم يكمل الطـــريق لأن الثـــلج قد نزل وأعاقه عن مواصلة الطريق، فبدأت أجتهد وأبحث عن طريق آخر فلم يكن أمامي سوى

خيار واحد هو صعود الجبل الذي إلى يسار الوادي – أي من جهة الشرق تقريباً – فأرسلت المجموعة الأولى معها أبو ذر الطـــائفي رحمه الله عبر هذا الطريق لكي يدخلوا إلى القرى ثم نأتي نحن من بعدهم، وعندما سار أبو ذر كان الطريق جيدا ولكنه لاحظ على يمين الطريق مواقع للروس تبعد حوالي ١ كم فأخبرني بجهاز اللاسلكي عندها لم تطمئن نفسي لهـــذا الطريق، فصعدت إلى أعلى الجبل وهناك جلست، وفي اليوم السادس كان الروس يمشون على آثار الأخوة الذين مشـــوا بالأمس فتقابلنا في الجبل الذي يطل على الوادي الذي به المجاهدون وبدأت الرماية، وكان ذلك في الساعة ١١ قبل الظهر ثم جاءت المجموعات الأخرى بعدنا " ...

ويقـــول أبو عمر في مقالاته: " من الملاحظ أننا لم نكن نسمع المكالمات بين القادة ومجموعات الاستطلاع، و لم نكن نعـــلم بالمحاولات التي يجريها القادة للخروج بنا من بعض المواقف الصعبة، ولكننا سمعنا صوت أبي ذر يوم نادى القادة بالجهـــاز وأخـــبرهم عن وجود طريق نخرج منه خارج وادي الموت، وأظن أن القادة وخاصة القائد العام كان حريصاً عـــلى ألا يصلنا أي خبر عن تفاصيل محاولات الخروج وخاصة المحاولات الفاشلة وقصده في ذلك ألا يفت في أعضادنا ويحـــبط نفسياتنا، وكان هذا الفعل منهم حقاً فعلاً رشيداً اقتدوا فيه بسيد الأولين والآخرين، و لم يسمعونا إلا الأخبار السارة والبشرى الحسنة، اقتداءً برسول الله ﷺ " ...

ثامناً الـــرفق بالمدنـــيين والحـــرص على سلامتهم فالجهاد بالنفس و طلب الشهادة، و التضحية بالغالي والنفيس، لا يعني أن يـــتعامل المجاهدون مع المدنيين والأهالي، بنفس الأسلوب الذي يتبعونه مع أنفسهم، بل ينبغي الرفق بهم، و الحرص عليهم وعلى أرواحهـــم، و كان خطاب رحمه الله مدركا لذلك تماما، وكان حريصا على ألا يصيب الأهالي أي أذى بسبب المجاهدين، يقول أبـــو عمـــر حاكـــيا عن دخول المجاهدين قرية تاوزني: " كان استقبال أهل القرية للمجاهدين عجيباً حيث خرجوا لهم بالطعام والشـــرب بـــل وفـــتحوا أبواب بيوتهم للمجاهدين للنوم والاستحمام والاستراحة مما كان له الأثر في رفع معنويات المجاهدين، وارتحنا فيها بعد عناء طويل، ثم أمرنا القائد العام بالخروج من القرية خشية أن يعلم الروس بنا فيحاصروا القرية ويؤذوا المدنيين، فكان القادة حريصين على حياة المدنيين العزّل أكثر من حرصهم على راحة المجاهدين، فالحفاظ على أرواح المدنيين كانت على قائمـــة المهمات التي يراعيها القادة فهم على استعداد أن يتحملوا ويحملوا المجاهدين العناء بشرط ألا يتضرر مدني واحد، وكان مـــن أهم الأسباب التي تم تحويل أسلوب حرب المجاهدين من حرب نظامية إلى حرب عصابات هو الحفاظ على أرواح المدنيين وحـــتى لا يقصف الروس القرى التي يقطنها المدنيون، فمن قال أن المجاهدين يتترسون بالمدنيين فهو عدو يُردّد ادعاءَ الأعداء، و لم نشهد من القادة إلا الحرص على أرواح المدنيين ودينهم وأعراضهم وأموالهم ..".

الفكر الجهادي عند خطّاب

تكونت لدى خطّاب رؤية واضحة للجهاد في سبيل الله، كانت تسوقه في مسيرته الباسلة، و تمهد له الطريق في دروب الجهاد الوعرة، رؤية تنطلق من كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام، وترتكن على خبرة وتجربة عريقة رغم حداثة السن، و يمكن أن نصوغ معالم الفكر الجهادي لخطّاب في النقاط التالية:

أولا الجهاد ذروة سنام الإسلام، و له أهدافه التي لا ينبغي أن يحيد عنها المجاهدون، وإلا لم يعد ما يفعلونه جهادا، والانطلاق من الكتاب والسنة وفهم السلف في مسيرة الجهاد الطويلة الشاقة أمر لا تفريط فيه، وكان خطّاب يرى أن تطبيق شرع الله هو الهدف الأسمى للجهاد، كما أن نصرة المسلمين واجب شرعي لا يُترَك، يقول : " **نحن أمام واجب شرعي قبل أن تكون مهمة إنسانية، وهذا الواجب هو تقديم النصرة لإخواننا المسلمين في كل مكان بالنفس والمال**، كما قال الله تعالى ﴿**وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر**﴾ .. ويكفي لإثبات سلفيّة خطّاب في جهاده أن نقرأ ما قاله عنه الخائن احمد قديروف الصوفي الحاقد، الذي استأجره الروس و حوّلوه من مفت للشيشانيين إلى مندوب لهم في الشيشان، يقول أحمد قديروف عن خطّاب ورفاقه : " أنا لا أستطيع التنقل بدون حراس، ومع ذلك وبالرغم من الحراسة فقد تأذيت على أيدي الوهابيين – خطاب ورفاقه من العرب – خسرت خمسة أفراد من حراسي " ، ويقول : " لقد فجروهم لأني أعلنت أن الإسلام العصري الذي كان سائداً في أرض الشيشان سيعود، ولن أسمح بتغييره، ولن أسمح بمجيء تيار آخر يزرع الفرقة بين الشعب، لن أسمح بمجيء من يسميهم كتاب الله أهل دم " و يضيف : " نحن عندنا مذهب الصوفية منذ أن اعتنقنا الإسلام، وبالتالي هل جميعنا مشركون على مدى الأجيال، قبل أن يظهر عندنا أبو عمر، وعبد الرحمن، وخطّاب، وغيرهم " ..

ثانيا يوقن خطّاب تماما أن النصر في هذه المعركة الشرسة مع الروس ثاني أقوى دولة في العالم، إنما يكون بتوفيق الله سبحانه وتعالى، و بقوة الإيمان واليقين، يقول: " يعود سبب وقوفنا في وجه هذه الآلة العسكرية وانتصاراتنا عليهم لفضل لله – عزّ وجلّ – أولاً، ثم إلى الرسالة الصادقة التي يحملها المجاهدون في الدفاع عن عقيدتهم وأرضهم حتى يحققوا الخلاص من الحكومة الروسية المتهالكة "، ويقول: " أما عن السلاح فعندنا سلاح الإيمان والتوكل على الله وحده أولاً، ثم السلاح الروسي الذي نغنمه من القوات الروسية (**وجعل رزقي تحت ظل رمحي**) كما قال ﷺ ".

ثالثا الحرب التي يخوضها العالم الغربي، وروسيا، إنما هي في مجملها حرب ضد الإسلام، مهما اختلفت المسميات، ومهما حاول الكافرون أن يظهروها على غير ذلك، ويقول خطّاب في هذا الشأن : " **الحرب ضدّ الإسلام بدأت منذ وقت طويل، لكنّ الآن هي ببساطة حرب علنية، بالإضافة إلى ذلك، يريدون أن يدمّروا الإسلام باستعمال أيدي مسلمة، ويسمّوننا إرهابيّين، لتبرير قتلهم، يعرف العالم بالكامل من هم الإرهابيّون الحقيقيّون، لكنّ الجميع صامت، لأن ذلك في مصلحتهم** .. " .

و في وعيٍ واضح لأسلوب الغرب في استغلال شخص أو مجموعة لتبرير الأعمال التي تقوم بها، ضد شعب أو شعوب بأكملها، قال خطّاب تعليقا على الاتهام الأميركي للشيخ أسامة بن لادن – حفظه الله تعالى – أنه السبب في إشعال هذه الحرب الهائلة : " لا يمكن أن يكون شخص واحد السبب لمثل هذه الحرب الكبيرة، إنّها كذبة، الأسباب الحقيقيّة مختلفة، الجميع ينبغي أن يبرّر أفعاله لذلك اعتبر أسامة بن لادن مذنب و سيّئ، هناك حكم إسلاميّ في أفغانستان، هناك شريعة، و المسلمون هناك أقوياء، الغرب وروسيا مستاءة من ذلك منذ وقت طويل، ويبحثون عن الأسباب لبدء حرب، حتّى لا يسمحوا للشريعة أن تنشئ في الدولة .. " ...

رابعا يعلم خطّاب جيداً في جهاده ضد الروس أن هزيمتهم لن تكون هزيمة عسكرية بالمعنى المفهوم، أي مواجهة بين جيش الشيشانيين والروس تنتهي بانتصار المسلمين، وانسحاب الروس لعجزهم العسكري، ولكن النصر على الروس يكون إن شاء الله باستغلال أهم نقطة ضعف عندهم، و هي العجز عن تحمل قدر كبير من الخسائر البشرية بالأخص يستمر لفترة طويلة، على الرغم من احتفاظهم بقوتهم العسكرية كاملة كما هي، و قدرتهم على تعويض خسارتهم، يقول خطّاب – رحمه الله – : " الجميع يعرف أنّ الرّوس حضّروا لهذه الحرب بعناية فائقة، نحن نعتبر كجماعة من قطاع الطرق الصغيرة، لكنّ الرّوس بدءوا حربهم كما لو كانوا في حالة حرب مع جيش منضبط، استعملوا كلّ الأسلحة الموجودة لديهم، لكنّ إن شاء الله، ليس من الممكن أن يفوزوا بهذه الحرب، منذ سنتين، لم يستطيعوا فعل شيء معنا، اليوم الرّوس قد فهموا جيّدا أنّ الحلّ العسكريّ للمشكلة لن يساعدهم، فقد ثارت الأمّة بالكامل على روسيا، عرفنا بالتّأكيد ما هي الطريق التي يجب أن نسلكها عندما قبلنا هذه الحرب، نحن اليوم أقوى مما مضى، يوميًّا ندمّر القوّة البشريّة الكثيرة وقوات الهندسة، مع ذلك روسيا تحاول أن تخفي خسائرها، يظهرون أن شخص واحد قتل، و واحد و نصف جرح، لقد فزنا بهذه الحرب بالفعل، لكنّ الرّوس مازالوا لا يعترفون بذلك، فيما بعد سيعرفون ما هو الأفضل لهم " ..

خامسا في إطار المواجهة العسكرية مع الجيش الروسي يعتبر خطّاب ورفاقه أن أهم عوامل التفوق وإرباك العدو، هو عدم وجود أي منشآت حيوية، أو مقرات ثابتة للمجاهدين في الشيشان، بل هم دائما مجموعات صغيرة دائمة التنقل، يتبدل مكانها من المدن والقرى إلى الجبال حسب تطورات المعارك، و ينعى خطاب على الجيش الروسي الذي عجز عن التوافق مع هذا التكتيك فمضى يحارب المجاهدين بأسلوب عقيم لا يتناسب مع ظروف الميدان، فيقول: " أود أن أبين قضية مهمة بالنسبة للوضع العسكري الروسي : عدد القوات الروسية في داخل جمهورية الشيشان تضاعف من خمسين ألفاً إلى ما يقرب من مائتي ألف جندي، وهذا العدد الضخم ضد قوات المجاهدين القليلة نسبياً لا شك أنه يفرض نفسه في واقع التكتيك الميداني، ومع هذا العدد الكبير إلا أن القوات الروسية استخدمت تكتيكات كانت تعتقد أنها سوف تنجيها من الفشل الذي لحق بها في الحرب الأولى، وهو الضرب من بعد كما فعلت قوات الأطلسي في يوغسلافيا، ومحاولة تجنب الاشتباك القريب مع المجاهدين، إلا أن هذا التكتيك كان فيه سوء تقدير فنحن لا نشبه الحكومة اليوغسلافية من حيث إننا نعتمد على منشآت حيوية ومواقع استراتيجية لإدارة الحرب، ولكننا في الشيشان نعتمد أولاً على الله في إدارة الحرب، ثم لدينا طرق أخرى لا تعتمد على مرافق ولا منشآت حيوية أو حتى ترتبط بمدن معينة، فهذه التقديرات الخاطئة التي اعتمدت عليها القوات الروسية في وضع خطتها العسكرية سببت لها إحراجاً شديداً، وهي الآن تقرر مضطرة استخدام أساليب حرب المشاة والاشتباك في ميادين القتال، ولهذا بدأت بتهيئة الرأي العام الروسي لاستقبال أعداد كبيرة من جثث الجنود.

سادسا كان خطاب يؤمن بالجهاد من خلال الإعلام، ونقل عنه أنه قال " **إن الله أمرنا بمجاهدة الكافرين وقتالهم بمثل ما يقاتلوننا به . وها هم يقاتلوننا بالدعاية والإعلام لذلك فيجب علينا أيضا مقاتلتهم بإعلامنا** "، لذلك فهو دائماً يصرّ على تصوير كل عملياته. وإن لديه مكتبة بها مئات الشرائط المصورة في أفغانستان وطاجيكستان والشيشان. وهو يعتقد بأن الكلام وحده ليس كافياً لدحض الادعاءات الكاذبة لإعلام العدو بل يجب توثيق هذا الكلام بالأدلة عن طريق الأفلام المصورة لدحض ادعاءاتهم. وهو أيضا قد صور شرائط مطولة للعمليات الأخيرة في داغستان تظهر مقتل أكثر من ٤٠٠ جندي روسي وهذا الرقم يزيد عشرة مرات عن الرقم الرسمي للمسؤولين الروس الذين قالوا أن قتلاهم في داغستان كانوا ٤٠ جندياً.

سابعا : النصر في المعركة بين المجاهدين و الروس، له علامات خاصة، و تدهور الأحوال العسكرية للجيش الروسي لا تعني بالضرورة أن يسترجع الشيشانيون أراضيهم ويطردوا الروس منها بين عشية وضحاها، بل لابد قبل ذلك من صبر طويل، و استنزاف للعدو الروسي، وهذا يعني أن الاحتفاظ بالأرض يحتاج إلى فقه واقعي عسكري حكيم، ففي بدء المعارك أصر المجاهدون على الاحتفاظ بالمدن الرئيسة تحت سيطرتهم و قاوموا الغزو الروسي أسابيع طويلة، لأن الاحتفاظ بها يرمز إلى الثبات، و لكن لما اشتد الهجوم وزادت وحشية القصف، ولحق الضرر بالمسلمين، ظهرت المرونة في تكتيك المجاهدين، حيث تنازلوا عن المدن التي يحتفظون بها، و انتقلوا فورا إلى مرحلة حرب العصابات، و التي من أهم شروطها عدم الاحتفاظ بمكان ثابت، و الدفاع عنه بالقوة، و في هذا المعنى يقول خطاب: " أود أن أبين أمراً يغفل عنه كثير من المطلعين على الحرب الآن، و هو أن سقوط المدن الشيشانية أو حتى العاصمة لا يشكل هزيمة للمجاهدين، ولا يشكل كذلك انتصاراً للقوات الروسية، بل في تقديري إن سقوط المدن في أيديهم يشكل عبئاً عليهم، فهم سيحولون تكتيكاتهم من الهجوم إلى الدفاع والمحافظة على المناطق التي سقطت، والمتابع لأحداث الحرب الأولى، يعرف أن سقوط المدن لم يشكل هزيمة للمجاهدين ولا نصراً لعدوهم، فقد سقطت في الحرب الأولى تقريباً كل جمهورية الشيشان في أيدي القوات الروسية، ومع ذلك لم تستطع الصمود أمام قوات المجاهدين أكثر من عشرين شهراً، لا سيما أن وضع المجاهدين في هذه الحرب أقوى من وضعهم في السابق، وكذلك وضع القوات الروسية أضعف من وضعهم في السابق، ونحن نرجو من الله أن يؤيدنا بنصره ويهزم عدونا إنه على ذلك قدير، **فمهما كان فإنّ التقديرات المادية والعسكرية، لا يمكن أن نعتمدَ عليها، فنحن نعتمد على تقديرِ ربّ العالمين ولطفه بنا** ".

نظريات خطّاب الجهادية الثلاث

لم يكن المجاهد و القائد خطاب رحمه الله، يقاتل بأسلوب عشوائي وإنما كان له فكر جهادي ناضج حتى أصبح مدرسةً، ومنهجاً يدرسه أكبر المعاهد العسكرية في العالم. وكان له رحمه الله نظريات ثلاث في جهاده:

- النظرية الأولى: **التربية**، وعلى هذا الأساس كلما أتى بلداً من البلدان وأراد أن يفتح باب الجهاد فيها قام بأخذ مجموعة من شبابها، ثم اعتنى بهم ووضعهم في محاضن دعوية حتى يكونوا هم أساس الدعوة والجهاد في ذلك البلد، وفي الشيشان أنشأ معهد القوقاز الديني لتخريج الدعاة، وأول مجموعة اعتنى بها في الشيشان كانت ٩٠شخصا ثم صفاها حتى وصل عددها إلى ٦٠ شخصاً وهم الآن أصل الجهاد في تلك البلاد، مع العلم أنه وجد معارضة من بعض الطيبين في هذا الأمر حيث طالبوا بالقتال ابتداء وكانوا يحتجون بضيق الوقت واحتلال بلاد المسلمين والعبث بها، ولكنه أسكنه الله فسيح جناته أصر على هذا الأمر، وقد راهنهم عليه ونجح نجاحاً كبيراً.. وكان يحثّ جنوده على مسألة طالما نسيناها وهي مطابقة الفعل مع القول، حيث كثيراً ما خاطبَ أصحابه من العرب قائلاً: **" إن هؤلاء لا يعرفون لغتكم، ولا ينبغي أن يكون هذا حاجزاً بينكم وبينهم، بل أروهم صدق أفعالكم "** .
- النظرية الثانية: **التجهيز**، وهذه النظرية لا نظن أن أحداً يعلو عليه فيها، فقد بلغ به الأمر أنه كان يجهز عتاد السنة ونحوها قبلها، وكان يقول أيام حربه في طاجكستان: **لا تكونوا مثل اخوة لكم يأتون لينصروا أناساً، فإذا هم يطلبون من ينصرهم**. لا مال معهم ولا سلاح ولا طعام فكان رحمه الله يُعْجِز من حوله بدقة الترتيبات، حتى كان مدرسة في التنظيم والترتيب منذ كان في أفغانستان، بل وقبلها أيضاً، وكان استعداده يشمل الطعام والسكن والطريق والاستخبارات حول العدو بحيث يحصل التكامل في تجهيزه واستعداده.
- النظرية الثالثة: **القتال**، وهذه نحن لا نتكلم عنها، ولكن دع خبراء الروس يتكلمون عنها، والذين طالب بعضهم أن تُدرس أفكاره العسكرية في جامعاتهم، ويكفي إعجابنا به أن نرى الشيشان صغيرة مكشوفة تكنولوجياً وعسكرياً، ومع ذلك ينجح في مهمتين من كل منهما إنجاز في ذاته:

حيث استطاع التخفي بجنوده والحفاظ عليهم، واستطاع أيضاً دكّ القوات الروسية وإيقاع الخسائر بها.

قاتل عدوّك قبل أن يغزوك

المفاجأة أهم مبدأ من مبادئ الحرب، جوهرها هو المبادرة بالعمل في الاتجاه الصحيح بطريقةٍ تخالف توقع وتقدير العدو.

لم يكـــن خطّاب رحمه الله ممن يعتمد سياسة ردود الأفعال في جهاده بل كان رحمه الله يكرّر قول: **قاتل عدوك قبل أن يغـــزوك**، فـــلا ننتظره حتى يغزونا، ثم نصيح كما تصيح النساء، بل متى ما رأينا أنه قد همَّ بنا فإن كان لنا قدرة أوقفناه حـــتى لا يتجرأ على بقية بلاد المسلمين. ولهذا غضب رحمه الله لما لامَه بعض الصالحين في غزوه لداغستان مما أشعل فتيل معـــركة الشيشان الثانية، بل ورماه البعض بالعجلة وإلقاء المسلمين إلى التهلكة، وهو من هذه التهمة براء، حيث ذكر أن الـــروس قد جمعوا العزم على حرب هذه البلد مرة ثانية من خلال نشرهم لاستخباراتهم، وكذلك صنعهم للتفجيرات في موســـكو وغير ذلك من الأسباب التي تعطي الروس الضوء الأخضر لغزو الشيشان مرة أخرى، فأراد رحمه الله أن يجعل الشيشان وداغستان بلداً واحدة، كما كانت قديماً من أجلِ كسب مساحة أكبر في قتال العدو، وكذلكَ إثارة أكبر عدد من المسلمين لمحاربةِ عدوّهم.

وفعـــلاً تبين صحة رأي خطّاب بعد أشهر، وأظهرت روسيا نواياها وأطماعها، وقامت بغزوِ الشيشان تحتَ مُســـمّى " حـــرب الإرهاب "، حتى قال رحمه الله : **إلى متى ونحن الدعاة نجلس ننتظر العدو ؟ ونعلم أنه يُجهّـــز العـــدة لإبادتـــنا حتى يغزونا ويهلكنا، فنقف على المنابر نشكو هتك الأعراض، وقتل الأنفس، واحتلال البلدان ؟!.**

الباحث عن الموت

يخطـــئ من يظن هذا العنوان مبالغاً فيه بل هو عين الحقيقة، وعندما نقول خطّاب يبحث عن الموت فهو يبحث عن الحياة الكاملـــة، **إنه يبحث عن الشهادة.** لم يجدها في أفغانستان رغم بحثه المضني ومحاولاته الدؤوب، فالتمسها في طاجكستان و لم ينـــلها أيضاً فلم ييأس، فغادر إلى الشيشان ولازال يبحث عنها في مظانها حتى بلغه الله مراده، نحسبه كذلك، ونسأل الله أن يتقبله في الشهداء.

و لم تكـــن رحلة الموت أو البحث عن الشهادة مفروشة بالورود وإنما هي جراحات ومعاناة وبطولات أدهشت الأبطال أنفســـهم قـــبل أن تدهش الروس الذين ربما سيبقون مدة طويلة غير مصدقين أن تغتال يد الغدر هذا البطل الذي أذاقهم الموت والذلّ سنوات طويلة.

بدأ رحمه الله رحلته منذ أربعةَ عشرَ عاماً في أفغانستان وكان ذلك عام ١٩٨٨ وحضر أغلب العمليات الكبرى في الجهاد الأفغاني منذ عام ١٩٨٨ ومن ضمنها فتح جلال آباد، وخوست، وفتح كابل في عام ١٩٩٣.

يصـــف أحـــد المجاهدين كيف أصيب بطلق ناري في بطنه بواسطة مدفع رشاش ثقيل من عيار ١٢,٧ مم في أفغانستان (الطلقـــات عـــيار ١٢,٧ مم تستخدم لاختراق الفولاذ والدروع، وكما يقول الخبراء أنها لو أصابت إنسانا فإنها تحول موضع الإصابة إلى عجين من اللحم والدم.) .

يقـــول:" خلال إحدى العمليات كنا نجلس في حجرة في الخط الخلفي كان الوقت ليلاً وكان القتال في الخطوط الأمامية شديداً. بعدها بعـــدة دقـــائق دخل خطّاب علينا الحجرة وكان وجهه شاحباً ومع ذلك فقد كان يتصرف تصرفاً طبيعيا. دخل الحجرة ماشياً ببطء ثم جلس في الناحية الأخرى من الغرفة بجانبنا وكان هادئاً لا يتكلم على غير عادته، فأحس الاخوة أن هناك شيئاً غير طبيعي على الرغم انه لم ينـــبس ببنـــت شفة (بكلمة) و لم يظهر أي حركة توحي بأي شيء من الألم، فسألناه إذا كانت به إصابة؟ فرد انه قد أصيب إصابة بسيطة أثناء وجوده في الخطوط الأمامية لجبهة القتال وأنها ليست إصابة خطيرة، فاقترب منه أحد الاخوة ليرى إصابته فرفض خطاب أن يـــريه شـــيئاً قائلاً أنها ليست خطيرة، فأصر هذا الأخ على رؤية إصابته ولمس ملابسه بيده ناحية البطن فوجد الملابس غارقة في الدماء، والـــترف لا يزال مستمراً بشدة، فأسرعنا ونادينا سيارة ونقلناه إلى اقرب مستشفى، في الوقت نفسه كان خطاب يردد طوال الوقت أن أصابته لا تستدعي كل هذا الاهتمام وأنها إصابة بسيطة ".

بعد هزيمة السوفيت وانسحابهم من أفغانستان سمع خطّاب ومجموعة صغيرة من إخوانه عن حربٍ أخرى تدور ضد نفس العدو ولكنها هذه المرة كانت في طاجيكستان فأعدّ حقائبه ومعه مجموعة صغيرة من الإخوة وذهبوا إلى طاجيكستان في عام ١٩٩٣، ومكثوا هناك سنتين يقاتلون الروس في الجبال المغطاة بالثلوج ينقصهم الذخائر والسلاح. وهناك فقد إصبعين من أصابع يده اليمنى، حين انفجرت قنبلة يدوية في يده مما نتج عنها إصابة بالغة استدعت قطع إصبعين، وقد حاول إخوانه المجاهدون إقناعه بالعودة إلى بيشاور للعلاج ولكنه رفض وصمم على وضع عسل النحل على إصابته، وضع العسل وربطها قائلاً أن هذا سوف يعالج هذه الإصابة وليس هناك حاجة للذهاب إلى بيشاور، هذا الرباط لا يزال ملفوفاً على يده منذ ذلك اليوم.

بعد سنتين في طاجيكستان عاد خطاب ومجموعته الصغيرة إلى أفغانستان في بداية عام ١٩٩٥ وكان في هذا الوقت بداية الحرب في الشيشان.

وصف خطاب شعوره عندما رأى أخبار الشيشان على محطة تليفزيونية تبث عبر القمر الصناعي في أفغانستان فقال:

"عندما رأيت المجموعات الشيشانية مرتدية عصابات مكتوباً عليها لا إله إلا الله محمد رسول الله ، ويصيحون صيحة الله اكبر علمت أن هناك جهاداً في الشيشان وقررت انه يجب عليّ أن اذهبَ إليهم".

رحل خطّاب من أفغانستان ومعه مجموعة مكونة من ثمانية مجاهدين مباشرة إلى الشيشان كان ذلك في ربيع ١٩٩٥، أربع سنوات مضت بعد ذلك جعلت تجربة خطّاب في أفغانستان وطاجيكستان تظهر كأنها كانت لعبة أطفال في الحضانة. يقول المسؤولون الروس طبقاً لإحصائياتهم أن عدد الجنود الذين قتلوا في خلال ثلاث سنوات من الحرب في الشيشان فاق أضعاف عدد الجنود الذين قتلوا خلال عشر سنوات من الحرب في أفغانستان.

في يوم ١٦ أبريل ١٩٩٦ قاد خطّاب عملية من أجرأ العمليات وكانت عبارة عن كمين " **شاتوى** " وفيها قاد مجموعة مكونة من ٥٠ مجاهداً لمهاجمة والقضاء على طابور روسي مكون من ٥٠ سيارة مغادرة من الشيشان. تقول المصادر العسكرية الروسية أن ٢٢٣ عسكرياً قتلوا من ضمنهم ٢٦ ضابطاً كبيراً ودمرت الخمسون سيارة بالكامل. نتج عن هذه العملية إقالة ثلاثة جنرالات، وقد أعلن بوريس يلتسين بنفسه عن هذه العملية للبرلمان الروسي. وقد تم تصوير هذه العملية بالكامل على شريط فيديو توجد منها بعض الصور في موقع عزام وموقع القوقاز بشبكة الإنترنت.

بعدها بشهور نفذت نفس المجموعة عملية هجوم على معسكر روسي نتج عنه تدمير طائرة هليكوبتر بصاروخ AT- 3 Sager المضاد للدبابات ومرة أخرى تم تصوير العملية بالكامل على شريط للفيديو.

كما شاركت أيضا مجموعة من مقاتليه في هجوم غروزنى الشهير في أغسطس ١٩٩٦ الذي قاده القائد الشيشاني شامل باساييف حفظه الله تعالى ذخراً للجهاد والمجاهدين.

وقد ظهر اسمه مرة أخرى على الساحة في يوم ٢٢ ديسمبر ١٩٩٧ عندما قاد مجموعة مكونة من مائة مجاهد شيشاني وغير شيشاني، وهاجموا داخل الأراضي الروسية وعلى عمق ١٠٠ كيلو متر القيادة العامة للواء ١٣٦ الآلي ودمروا ٣٠٠ سيارة وقتلوا العديد من الجنود الروس.

وقـــد استشهد في هذه العملية اثنان من المجاهدين من ضمنهم أحد كبار القادة (من مصر) في جماعة خطّاب هو أبو بكر عقيدة رحمه الله.

بعـــد انســـحاب القوات الروسية من الشيشان في خريف ١٩٩٦ اصبح خطّاب بطلاً قومياً في الشيشان وقد منح هناك ميدالـــية الشـــجاعة والبســـالة من قبل الحكومة الشيشانية. وقد منحوه أيضا رتبة لواء في حفل حضره شامل باسييف وســـلمان روديـــيف القادة العباقرة في حرب الشيشان. وقبل مقتل جوهر دودايف كان خطّاب يحظى لديه باحترام ناله بعمله وليس بالكلام.

يا أيها الأسدُ الذي تبكي لـــهُ كل الخنـــادق في رُبى الشجعانِ

إنا لنشهدُ أنك الليث الـــذي قد دكَّ هـــامَ الكـــفر والطغيان

كان رحمه الله يؤمن إيمانا راسخاً أن أجله سوف ينتهي في الوقت الذي كتبه الله له لا يتقدم لحظة ولا يتأخر لحظة.

وقد نجا من محاولاتٍ عديدة لاغتياله أقربها عند قيادته لشاحنة روسية كبيرة انفجرت وأصبحت حطاماً ومات من كان بجانبه وهو لم يصب بخدش.

رحمَ الله فقيد أرض الشيشان .. الذي أبلى بلاءً حسنا وكبيرا في قتالِ أعداء الله في مواطن عدة، واقتضت حكمة الله عز وجل أن يكون موته على فراشه ليصدع بأعلى صوته بعد موته :فلا نامت أعين الجبناء.

اللهم ارفع درجته في المهديين، وأعلي مقامه لديك بما تحمله في سبيل الإسلام العظيم من عناء، وتقبله في الشهداء والصالحين. اللهم آمين.

بين مصعب وخطّاب

خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا

رحمك الله يا خطاب كلما رأيت صورتك وأنت مسجّى على فراش الموت تذكرت مصعب بن عمير وهو مسجى أمـــام رسول الله ﷺ ، ولئن بكى رسول الله ﷺ من رؤيةِ مصعب فإنّ الأمّة كلها من شرقها وغربها بكت لما رأتك صريع فراشك شهيداً بإذنِ الله، وقد مت مجاهداً في غير أهلك ووطنك.

كـــان رحمـــه الله في شبابهِ وقبل جهاده مصلياً وصائماً ولكن كعادة أغلب الشباب فالثوب مسبل والمعازف تُسمع واللحية تحلق، ولما تمكن الإيمان في القلب رأينا منه العجب وكان يقول: **خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا.**

إنّ العثورَ على قلبٍ يفقهُ التُقى ويتذوّق الطهرَ والإخلاص ويعمل لمجدِ الإسلام، بمثابةِ العثور على كترٍ بعد فقرٍ وهوان.

لقـــد أعطانا رحمه الله درساً في واقع حياتنا ينبغي للدعاة والمجاهدين أن يعوه جيداً، وهو أن في أمتنا أناساً لهم معادن كمعـــادن الذهـــب خالطهـــا الـــرمل وعلاهـــا الغبار تحتاج إلى من يكتشفها ويهذبها، وكم من رجل احتقرناه واستصـــغرناه، وأظهـــر الله على يديه الخيرَ العظيم، فهذا عُمَر من عابدِ شجرٍ وحجر إلى رجل ما سلكَ طريقاً إلاّ سلك الشيطان طريقاً غير طريقه.

قالَ أسدُ الجهاد

إنّ الكلمات التي يرويها أصحابها بدمائهم هي وحدها التي تبقى لتبعث الحياة في النفوس بعد ذهاب أصحابها.

وللفقيد كلمات كثيرة رواها بدمهِ الطيب نذكر طرفاً منها لعلّ الله يحي بها القلوب والأعمال!.

فالناس صنفان: موتى في حياتهم وآخرون في بطن الأرض أحياء!.

قال خطّــاب المعــالي رحمه الله تعالى:

- من عاشَ صغيراً مات صغيراً، ومن عاش لأمته عظيماً مات عظيماً .
- قــاتل عــدوك قبل أن يغزوك، فلا ننتظره حتى يغزونا، ثم نصيح كما تصيح النساء، بل متى رأينا أنه قد همَّ بنا فإن كان لنا قدرة أوقفناه حتى لا يتجرأ على بقيةِ بلاد المسلمين .
- إلى مــتى ونحن الدعاة نجلس ننتظر العدو، ونعلم أنه يجهز العدة لإبادتنا حتى يغزونا ويهلكنا، فنقف على المنابر نشكو هتك الأعراض وقتل الأنفس واحتلال البلدان .
- إن هــؤلاء " يقصد الشيشانيين " لا يعرفون لغتكم، ولا ينبغي أن يكون هذا حاجزاً بينكم وبينهم، بل أروهم صدق أفعالكم.
- أخاف أن أموت جثة لا قيمة لها بسرطانٍ أو حادث، ولكني أريدُ أن أموتَ شهيداً.
- يا ليت الواحد منا يصنع أو يساهم في صنع الحدث بدلاً من أن يكون جزءاً من الحدث.
- مــاذا نفرق عن صحابة الرسول عليه الصلاة والسلام، هم بشر ونحن بشر، نأكل كما يأكلون، ونشرب كما يشــربون، ولكــنهم بَشَــر غيَّروا مجرى التاريخ، فلابد أن نغير التاريخ كما غيروا حتى نشبههم وإن كنا لسنا بمثلهم.

- أين القائد؟ القائد هو الذي يعيش في الخنادق وليس من يعيش في الفنادق.
- بكيت عندما سألت عجوزاً طاعنة في السن. ماذا تريدون من قتال الروس ؟ فقالت العجوز لي بلغة الواثقة: نريد أن نخرج الروس حتى يرجع إلينا الإسلام. فسألتها هل عندكِ شيء تقدمينه للجهاد ؟ فقالت وقد كُسِر خاطرها : ليس عندي سوى هذا الجاكيت (المعطف) أجعله في سبيل الله .
- كان جوهر دوداييف يقول لأصحابه وأنا موجود: لماذا لا يأتينا أناس كثيرون أمثال خطاب، فقضيتنا قضية إسلامية.
- نحن المذنبون ؟! جلسنا في بلادنا نأكل ونشرب وتركنا الشعوب المسلمة تحت ظلم الشيوعية عشرات السنين إن كان الروس استطاعوا قتل عربي برابيف فالشيشان كلها عربي برابيف.
- يعود سبب وقوفنا في وجه هذه الآلة العسكرية وانتصاراتنا عليهم لفضل لله – عز وجل – أولاً، ثم إلى الرسالة الصادقة التي يحملها المجاهدون في الدفاع عن عقيدتهم وأرضهم، حتى يحققوا الخلاص من الحكومة الروسية المتهالكة. أما عن السلاح فعندنا سلاح الإيمان والتوكل على الله وحده أولاً.
- لا شك أن الموقف الإسلامي الشعبي له تأثير كبير على القضية كما كان في قضايا المسلمين السابقة، فيكفي دعاؤهم ومساندتهم بما يستطيعون، ونحن نعلن من هنا أننا مدينون لإخواننا المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها على هذا الدعم المتواصل والدعاء المستمر، وليعلموا أن ما حققناه من انتصارات إنما هو بفضل من الله أولاً ثم بفضل وقفتهم المشرفة والتي نأمل أن تستمر حتى النصر والتمكين.
- عجباً لبعض الناس سلم منه الملاحدة والنصارى و لم يسلم منه إخوته المسلمون.
- نشكر المولى العزيز الجبار القهار الذي قهرَ الملاحدة الروس، وردّ كيدهم في نحورهم، ومنَّ علينا بهذا الجهاد وهذه الانتصارات التي بينت أن الآلة العسكرية والمادة وحدها لا تساوي شيئاً أمام قوة الإيمان واليقين بنصرِ الله القائل: **وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ**.

إنه عرس حبيبك يا أم الخطاب، فلا تبكيه يا غالية!

ننقل لكم أيها الأحبة في الله ويا أيتها الأخوات في الله، ما كتبته الأخت الفاضلة بنت الرسالة، من كلمات رائعة وجهتها إلى أم القائد البطل خطّاب، رحمه الله رحمةً واسعة وأسكنه فسيح الجنان ..

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أيا أم الخطّاب يا غالية ..!!

أعلم أنكِ أرضعته عزة المؤمن في ثبات ابن الوليد..

ثم نظرتيه يحبو رافعا رأسه ينظر للبعيد ..

وكأنها ساعات لحظة العمر معه، حتى جاءك وقد فهمت ما في صدره دون نطق، إنه يريد أن يتعجل خطاه نحو الخلود ..

فوا لهفي عليك أُماه.. ولكن ..!! أنى له الرجوع.

قد سار في أيامه وهو ذاهب عن نفسه لربه، رخصت الدنيا عنده حتى تساوت بما يطأه ويركله بقدمه..

فكان التميز لحبيبك عند مصفاة الرجال، وكان بين أترابه تبر ثمين.

لقد فهم موضع الواجبات فأوقف نفسه على ذروة الأمر كله لا يلوي على شيء دونه.

قبل الموقع، وقبله العمل، فاسترخص الروح له، وعاهد أن لا يترجل.

قد وثق بما غرزته في أعماقه وهو في حجرك، تتقنين فيه حياكة يقين الصدّيق،

بأن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه. فحن لرؤية الرحمن راضيا عنه، فهب ليريه من نفسه ما يصنع بأعدائه.

حمل لواء مصطفاه إلى تلك الشواهق العالية يبارز الإلحاد والكفر ..وكل ظنه أنك من خلفه بالدعوة المستجابة.

و ها قد جاءك الخبر الذي...

فاسمعي من يتغمده الله بالقبول والمرحمة ..يقول لك: "وبشر الصابرين".

أماه لقد جعل الرحمن الرحيم الصبر لنا حصناً من الهم والحزن لا يهدم ولا يردم ولا يثلم ..

ثم وقد وجعلك الله من أمة النبي حامل لواء الحمد. و إنها التجارة مع الله التي لا تبور.. عند فقد الأمهات للغالي الحبيب.

فيا أمنا الغالية ! قد تقدم البضعة منك متعجلاً لحورائه فزفته السبعون من قاصرات الطرف عين..

وإنه عرس حبيبك يا أم الخطاب فلا تبكيه ..

أختك المحبة / بنت الرسالة

كما ننقل لكم أيها الأحبة في الله ويا أيتها الأخوات في الله، الرسالة التي خطتها الأخت الفاضلة نبيلة من الساحل اللبناني إلى الأم الغالية

رسالـــة إلى أم الـــخـــطّـــاب

السلام عليكِ ورحمة الله وبركاته

هناك مواقف ينضب فيها الحبر وتسقط بها الحروف وتخجل بها الكلمات. أستميحك عذراً بمناداتك "أمي".
بوركتِ يا أم الرجال ونحن في زمنٍ قلت به الرجولة والمروءة.

أهنئك بهذا الرجل الذي تربى بأحشائك وولد من رحم طاهر مسلم وترعرع على يديك.
أخجل منك سيدتي فكم أتمنى أن تحمل أحشائي يوماً جنيناً أشبه بما حملت وأنجبت وربيت وأعطيته للأمة مثالاً يحتذى في الجهاد والصبر والمثابرة على قول وفعل الحق.

أعداؤنا يملكون ما لا نملك من ماديات متطورة..لكنهم من المستحيل أن يملكوا أماً مثلك تعرف كيف تنجب الرجال وتربي الوليد حب الإسلام. ابنك عاش خارج بلاده يجوب الغابات والوديان برأسٍ عال وقلب جريء عقيدته وإيمانه بالله هما أقوى سلاح جابه به أعداء الله.

أكتب هذه الكلمات ولم أكن أتصور يوماً أنني سأخط حروفاً إلى أم مجاهد.
سيدتي هنيئاً لك بما قسمه الله عليك بفارس على الأعداء، وبأسدٍ يعرف كيف يدخل ويخرج من عرينه..
عاش الليل والنهار من أجل إعلاء كلمة الحق.خرج من بلاده يحلم، وحول الحلم إلى واقع بعد أن عرف كيف يجعل الأعداء يخافون مؤمناً بالله.

سيدتي أهديك الحب وكل الحب لعينيك لراحة يديك وقبلة أضعها على جبينك..
أمي كم أتمنى أن أكون يوماً مثلك. يا زهرة الزهور يا أم الخطّاب السلام عليك ورحمة الله وبركاته.

ابنتكِ نبيلة

باقة إلى أمي: أم الخطاب

أبشري أم الخطّاب فقد قال رَسُول اللَّهِ ﷺ"رأيت الليلة رجلين أتياني فصعدا بي الشجرة فأدخلاني داراً هي أحسن وأفضل، لم أر قط أحسن منها، قالا: أما هذه الدار فدار الشهداء".

أبشري أم الخطاب فـــ "لا يجتمع على عبد غبار في سبيل اللَّه ودخان جهنم" ..

ابشري أم الخطاب فـــ "عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية اللَّه، وعين باتت تحرس في سبيل اللَّه"..

ابشري أم خطاب فما "ما يجد الشهيد من مس القتل إلا كما يجد أحدكم من مس القرصة".

أبشري أم الخطاب فابنك لم يمت ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾.

أبشري أم الخطاب فليس مثل ابنك يموت ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ .. اللهم أنعم عليه وارزقه واجعله من الفرحين.

غاية المؤمن أن يلقى الردى باسم الوجه سروراً ورضى

أبشري أم الخطّاب فابنك أصابه من الكرامة ما ليس بعدها "مَا مِنْ عَبْدٍ يَمُوتُ، لَهُ عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لاَ يَسُرُّهُ أَنْ يَرْجِعَ إِلى الدُّنْيَا، وَأَنَّ لَهُ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، إِلا الشَّهِيدَ لما يَرَى مِنْ فَضْلِ الشَّهَادَةِ، فَإِنَّهُ يَسُرُّهُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنيَا، فَيُقْتَلَ مَرَّةً أُخرى" (البخاري) وفي لفظ: "فَيُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ لِمَا يَرَى مِنَ الكَرَامَةِ".

ابشري أم الخطاب فقد "قالَ ﷺ لأُمِّ حَارِثَةَ بن النُّعْمَانِ، وَقَدْ قُتِلَ ابْنُهَا مَعَهُ يَوْمَ بَدْرٍ، فَسَأَلَتْهُ أَيْنَ هُوَ ؟ قال: "إِنَّهُ فِي الْفِرْدَوْسِ الأَعْلَى". اللهم ارزق خطاباً الفردوس الأعلى.

ابشري أم الخطاب فـــ "إِنَّ أَرْوَاحَ الشُّهَدَاءِ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ، لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلى تِلْكَ القَنَادِيلِ".. اللهم اجعل خطاب منهم.

ابشري أماه فإن "الشُّهَدَاءُ عَلَى بَارِقِ نَهْرٍ بِبَابِ الْجَنَّةِ، فِي قُبَّةٍ خَضْرَاءَ، يَخْرُجُ عَلَيْهِمْ رِزْقُهُمْ مِنَ الجَنَّةِ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً".. اللهم اجعل خطّاب منهم.

أعلمت يا أماه كيف خرج ابنك من الدنيا، "لاَ تَجِفُّ الأَرْضُ مِنْ دَمِ الشَّهِيدِ حَتَّى يَبْتَدِرَهُ زَوْجَتَاهُ، كَأَنَّهُمَا طَيْرَانِ أَضَلَّتَا فَصِيلَيْهِمَا بِبَرَاحٍ مِنَ الأَرْضِ بِيدِ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا حُلَّةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا".

فيا خاطب الحسناء إن كنت راغبا فهذا زمان المهر فهو المقدم

أبشري أماه فإن الرجال قد شهدوا لابنك بأنه ما تأخر عن الصف الأول "أَفْضلُ الشُّهَدَاء الَّذينَ إِنْ يَلْقَوْا في الصَّفِ لا يَلْفتُونَ وجوهَهُمْ حَتَّى يُقْتَلُوا، أُولَئِكَ يَتَلَبَّطُونَ فِي الْغُرَفِ العُلَى مِنَ الْجَنَّةِ، وَيَضْحَكُ إِلَيْهِمْ رَبُّكَ، وَإِذَا ضَحِكَ رَبُّكَ إِلَى عَبْدٍ فِي الدُّنْيَا، فَلا حِسَابَ عَلَيْه".. اللهم أدخل خطاباً الجنة بلا حساب ...

إن المنيـــة لو لاقتهم جفلت خرقاء تتهم الإقدام والهربا

أبشري أماه فإن "القَتْلَى ثَلاثَةٌ: رَجُلٌ مُؤْمِنٌ جَاهَدَ بِمَالِه وَنَفْسِه فِي سَبِيلِ اللهِ حَتَّى إذا لَقِيَ الْعَدُوَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى يُقْتَلَ، فَذَاكَ الشَّهِيدُ المُمْتَحَنُ فِي خَيْمَةِ اللهِ تَحْتَ عَرْشِه، لا يَفْضُلُهُ النَّبِيُّونَ إلا بِدَرَجَةِ النُّبُوَّة"..اللهم اجعل خطّاب منهم....

اصبري أماه واحتسبي ابنك عند الله، فإن رحل ابنك فأبناء الأمة كلها لك أبناء .. أماه: ان ابنك في مكان يغبطه عليه الأنبياء .. أماه: إن لابنك من الفضل عند الله ما يسركِ وتقر به عيناك ، فأبشري:

" إِنَّ لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللهِ خِصَالاً:
أَنْ يُغْفَرَ لَهُ مِنْ أَوَّلِ دَفْعَةٍ مِنْ دَمِه، *فاحمدي الله يا أماه*
ويُرَى مَقْعَده مِنَ الجَنَّة، *فقري عيناً يا أماه*
وَيُحَلَّى حِلْيَةَ الإِيْمَان، *فهذا والله العز يا أماه*
وَيُجَارَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، *فاسألي الله من فضله يا أماه*
وَيَأْمَنَ مِنَ الْفَزَعِ الأَكْبَرِ، *رابط الجأش في الدنيا والآخرة يا أماه*
وَيُوضَعَ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ، الياقوتة مِنْهُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، *هذا والله المُلك يا أماه*
وَيُزوَّجَ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِنَ الْحُورِ الْعِين، *وهل مثل ابنك خاطبٌ يا أماه*
وَيُشفعَ فِي سَبْعِينَ إِنْسَاناً مِنْ أَقَارِبِه". *فهنيئاً لك يا أماه.*

لقد أكرم الله خطّاباً بالسم، ورسول الله ﷺما يزال يرى أثر السم حتى لقي الله .. مات خطّاب غدراً، وقد قتل عمر، وعثمان، وعلي غدراً .. مات خطّاب على فراشه، وقد مات سيف الله خالد بن الوليد على فراشه، فلا نامت أعين الجبناء.

أمّـــاه قد عزّ اللقاء تصبري ما كان قلبي يـــا حبيبة جافيـــا
لـــكنّ مثلي لا يقر قـــراره والجرح في جسد العقيدة داميا

رحم الله خطابا.. وكأنه يضرع إلى الله قائلا:
اللهم إني قد وهبت لأمي ثواب أعمالي التي رضيتها، ولها فيها قسط كبير، فتقبل ذلك منا رحمةً بنا إنك أنت الكريم الرحيم.

اللهم اكرم نزله، ووسع مدخله، وتقبله في الشهداء .. اللهم إنا نشهد له بالخير شهادة نلقاك بها فتقبل شهادتنا، اللهم باعد بينه وبين خطاياه كما باعدت بين المشرق والمغرب، ونقه من الخطايا كما يُنقى الثوب الأبيض من الدنس، واغسله بالماء والثلج والبرَد. اللهم اجعله مع الصديقين والشهداء والصالحين وألحقنا بهم .. اللهم تقبله شهيدا ... اللهم تقبله شهيداً ... اللهم تقبله شهيداً.

ورحل سيف الإسلام

بـــاعَ نفســـه ابتغاء مرضاة الله : **إِنّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْـــتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**. .. اللهم تقبل البيع..

هاجر إلى أفغانستان وطاجيكستان والشيشان وداغستان يقاتل في سبيل الله : **إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**. .. اللهم اغفر له وارحمه..

مـــا أراد بجهـــاده هذا إلا الشهادة في سبيل الله : **فاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُـــكُمْ مِـــنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَـــنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ**... نحسبه كذلك ولا نزكيه على الله

رحـــل ولســـان حالـــه يقول لمن بعده من المسلمين : **وَلا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَـــأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا**. ..وأعماله الجليلة تصرخ في البقاع : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ... فهل من سامع...

أمعفر الليث الهزبر بسوطه لمن ادخرت الصارم المصقول

علّم الأجيال المتقاعسة دروس الكرامة وسطّر بأفعاله أبياتَ العزة والذود عن حياض الإسلام : **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَـــرْتَدَّ مِـــنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَـــبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**.. اللهم اجعله من أهل العزة وآته من فضلك...

قـــالوا له اجلـــس في بيتك فقم الليل وصم النهار وتصدق وافعل ما يفعله غيرك فقال : **أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْـــجِدِ الْحَـــرَامِ كَمَـــنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّـــالِمِينَ * الَّذِيـــنَ ءَامَـــنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِـــزُونَ**. فما كان – رحمه الله وتقبّله في الشهداء – بالذي يترك الأعظم لما هو عظيم، فللّه درّها من همّة، ومن طلب الفتح الجليل فإنما مفاتيحه البيض الخفاف الصوارم .

كان دستوره في الحياة : **فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا**. إنّ ألفي قذيفة من كلام ..... لا تساوى قذيفة من حديد، ولسان حاله يقول:

فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ.

كان شعاره في الحياة : **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّـــهِ أُولَـــئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**. و: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُـــولِهِ وَتُجَـــاهِدُونَ فِـــي سَـــبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُـــمْ جَـــنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ.**

الـــلهم نسألك وعدك الذي وعدته من أطاعكَ من عبادك. قوم تفرست المنايا فيكم . فرأت لكم في الحرب صبر كرام. تالله ما علم امروء لولاكم .كيف السخاء وكيف ضرب الهام.

أبى القعـــود والـــبقاء مـــع الخوالف لأنه : **لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل اللَّه بـــأموالهم وأنفســـهم، فضل اللَّه المجاهدين على القاعدين درجة، وكلاً وعد اللَّه الحسنى، وفضل اللَّه المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً. درجات منه ومغفرة ورحمة؛ وكان اللَّه غفوراً رحيماً**. .اللهم ارزقه الدرجات العلى والرحمة..

أبى القعود لأن رسول اللَّهِ ﷺ (سُئل) أي العمل أفضل؟ قال :إيمان بالله ورسوله، قيل: ثم ماذا؟ قال:الجهاد في سبيل اللَّه.

أبى الـــتخلف مـــع القـــاعدين لأنـــه "مَـــنِ اغْـــبَرَّتْ قَدَمَـــاهُ في سَـــبِيلِ اللَّـــهِ حَـــرَّمَهُ اللَّـــهُ عَلَـــى الـــنَّار"

أبى الـــتخلف عـــن المجـــاهدين لأنـــه "مَـــنِ اغْبَرَّت قَدَمَاهُ في سَبِيلِ اللهِ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، فَهُمَا حَرَامٌ عَلَى النَّارِ".

أبى الـــبقاء مـــع الخوالـــف لأن أبا ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قال: قلت يا رَسُول اللَّهِ أي العمل أفضل؟ قال: الإيمان بالله، والجهاد في سبيله".

أبى الجلـــوس في رغد العيش والتنعّم بالملذات الفانية لأن رَسُول اللَّهِ ﷺ قال "لغدوة في سبيل اللَّه أو روحة خير من الدنـــيا ومـــا فيها".أبى أن يكون كغيره لأنه ليس مثل غيره، فقد أتى رجل رَسُول اللَّهِ ﷺ فقال: أي الناس أفضل؟ قـــال: "مؤمـــن يجـــاهد بنفسه وماله في سبيل اللَّه". كانت نفسه تتوق إلى الجنة و "إِنَ أَبْوَابَ الجنّةِ تَحْتَ ظِلال السيُّوفِ". فعشقت نفسه السيوف واستظل بظلها.

كانـــت نفسه لا تعرف الأماني، بل همته أعظم من الأحلام، أراد أن يضمن الجنة فقد قال رَسُول اللَّهﷺ "تضمن اللَّه لمن خـــرج في ســـبيله لا يخرج إلا جهاد في سبيلي وإيمان بي وتصديق برسلي فهو ضامن علي أن أدخله الجنة، أو أرجعه إلى منزلـــه الـــذي خرج منه بما نال من أجر أو غنيمة..". وقال عليه الصلاة والسلام "أَنَا زَعِيمٌ لِمَنْ آمَنَ بِي، وأَسْلَمَ وهَاجَرَ بَبَيْـــتٍ فِي رَبَضِ الجَنَّة، وبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الجَنَّة، وَأَنَا زَعِيمٌ لِمَنْ آمَنَ بِي وَأَسْلَمَ، وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الجَنَّة، وَبِبَيْـــتٍ فِي وَسَـــطِ الجَنَّة، وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى غُرَفِ الجَنَّة، مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ، لَم يَدَعْ لِلْخَيْرِ مَطْلَباً، ولا مِنَ الشَّرِّ مَهْرَباً يَمُوتُ حَيْثُ شَاءَ أَنْ يموت".. اللهم اجعله في أعلى الجنة...

أبـــت نفسُـــه عـــلى نفســـه الـــنفاق "مَـــنْ مَـــاتَ، وَلَـــمْ يَغْزُ، وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ، مَاتَ عَلى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاق".. جُرحت يده، وقُطعت أصابعه، وتعرض للموت مرات، فـــ "ما من مكلوم يكلم في سبيل اللَّه إلا جاء يوم القيامة وكلمه يدمى؛ اللون لون دم والريح ريح مسك".."مَنْ لَقِيَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَيْسَ لَهُ أَثَرٌ فِي سَبِيلِ اللهِ، لَقِيَ اللهَ، وَفِيهِ ثُلْمَة".

قـــاتل اثنـــتا عشـــر عاماً علّه يُعذر عند الله "من قاتل في سبيل اللَّه من رجل مسلم فواق ناقة [الفواق : ما بين الحلْبتين] وجبـــت له الجنة ..." . لولا همته لجلس في بيته كغيره من المسلمين، ولكنه أراد الأُخرى" وأُخْرَى يَرْفَعُ اللهُ بِهَا العَبْدَ مِائَةَ دَرَجَةٍ فِي الجَنَّةِ مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ"، قال: وما هي يا رسول الله؟ قال: "الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ" .

أراد الدرجـــات العلى "إِنَّ فِي الجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللهُ لِلمُجاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ، فإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ وَأَعْلَى الجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَن، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنهَارُ الجَنَّة".

ما كان – رحمه الله وتقبله في عليّين – يرضى بالقليل ".. فإن مقام أحدكم في سبيل اللَّه أفضل من صلاته في بيته سبعين عاماً، ألا تحبون أن يغفر اللَّه لكم ويدخلكم الجنة؟ اُغْزُوا في سبيل اللَّه، من قاتل في سبيل اللَّه فواق ناقة وجبت له الجنة.

عـــرف أجر المجاهد فطلبه "قيل: يا رَسُول اللَّه ما يعدل الجهاد في سبيل اللَّه ؟ قال: لا تستطيعونه، فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثاً كل ذلك يقول: لا تستطيعونه، ثم قال: مثل المجاهد في سبيل اللَّه كمثل الصائم القائم القانت بآيات اللَّه لا يفتر من صـــلاة ولا صـــيام حتى يرجع المجاهد في سبيل اللَّه"، وفي رواية البخاري: أن رجلاً قال: يا رَسُول اللَّه دلني على عمل يعـــدل الجهـــاد. قال: لا أجده ، ثم قال: هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر، وتصوم ولا تفطر؟ فقال: ومن يستطيع ذلك!

اشتغل الناس بجمع الدنانير والدراهم، وخرج هو يبتغي خير المعاش فوق الجبال وفي الكهوف وبين التلال "من خير معاش الـــناس لهم رجل ممسك بعنان فرسه في سبيل اللَّه يطير على متنه، كلما سمع هيعة أو فزعة طار على متنه يبتغي القتل أو الموت مظانه..".

تُذكّـــرني ســـيرته بما رواه" أبي بكر بن أبي موسى الأشعري قال: سمعت أبي رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ وهو بحضرة العدو يقول قال رَسُـــول اللَّه ﷺ: إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف، فقام رجل رث الهيئة فقال: يا أبا موسى أأنت سمعت رَسُول اللَّه ﷺ يقـــول هذا؟ قال: نعم، فرجع إلى أصحابه فقال: أقرأ عليكم السلام، ثم كسر جفن سيفه فألقاه، ثم مشى بسيفه إلى العدو فضرب به حتى قتل". خاض الجبال والوديان والسهول والغابات، في الثلج وفي الوحل وفي الطين وقد "قال رَسُول اللَّه ﷺ "ما اغبرت قدما عبد في سبيل اللَّه فتمسه النار".

كيف استقبل الإعلام نبأ استشهاده ؟

اللهم لا عيش إلاّ عيش الآخرة

رغم أن خطّاب مسلم عربي، ورغم أنه قائد عظيم معروف لدى دول العالم ورؤسائها من الرئيس الأمريكي غرباً إلى الإمبراطور الياباني شرقاً، ورغم أن بوش توسل إليه في بداية حربه لأفغانستان بعدم التدخل في هذه الحرب لمعرفته بخطورة ثقل هذا البطل، وبالرغم من جنون الرئيس بوتين الروسي منه، وبالرغم من أشياء كثيرة أخرى فلم تبدِ أي قناة عربية ماعدا الجزيرة له اهتماماً، بل استمرت في الرقص واللهو، ولعل رقصة من غانية أو كأساً وضحكة من مغنية فاجرة خير لها من صورة القائد العظيم خطّاب. كل هذا من أجل إشغال الشعوب عن نصرة إخوة لهم في بقاعٍ شتى يلاقون أصناف العذاب والهوان، ومرة أخرى تكشف قناة الجزيرة فضائح إعلامنا العربي، فهي أول وأكثر قناة تناولت الخبر، بل تناولته من خلال مجي خطّاب وليس من قِبَل أعدائه، ووضعت له برنامجاً خاصاً، وأعادت لقاءات تمت معه لتعطي صورة واضحة في معنى التميز في متابعة الحدث، وكأنّا بها تقول: أين نحن وأين غيرنا، وأظن لو أن قناة عربية أخرى تناولته لاستضافت مجرماً يكره الجهاد وأهله ليلطخ به صفة الإرهاب والإجرام. " ونحن لا نقول هذا من منطلق القناعة التامة بقناة الجزيرة وسياستها، ولكن من باب الشكر لها وقول كلمة العدل".

أمـــا القنوات الغربية فكانت خيراً من قنواتنا في متابعة الحدث بقوة، ففي روسيا قطع البث التلفازي من أجل عرض بيان وزارة الدفـــاع الخاص باستشهاد خطّاب، وعرض عدة مرات في تلك الليلة واليوم التالي، ووزعت التبريكات من خلال مشاركات المشاهدين، ووضعت اللقاءات التي تحدثت عن هذا النصر الروسي، واستطاعت قنواتهم أن تجعل شعبها يعيش أيامـــاً هـــي مـــن أسعد أيامه يتذكر بها أيام مجده الزائل، وأقيمت برامج كاملة عن حياة خطّاب ونوقشت فيها أفكاره العسكرية وخططه التي وصفها أحد خبراء الروس في برنامج عرض مؤخراً بأنها " جهنمية " ووصفها خبير آخر بأنها " شيطانية ".

ولم تغفـــل الـــــ بي بي سي ولا الـــ سي إن إن هذا الحدث، فتحدثت عنه بإسهاب كعادة القنوات الإخبارية التي تحترم نفسها ولو قليلا، وليس كقنواتنا التي تخصصت في ضياع شبابنا، ومحاولة إلصاقهم بقدوات فاسدة ماجنة.

وهـــنا لا بدّ من تسجيل الشكر إلى المواقع والمنتديات الإسلامية على شبكة الإنترنت التي بذلت الجهد الطيّب في تعاملها مع هذا الحدث. فجزاهم الله عن الجهاد والمجاهدين خيرا.

مستقبل الجهاد في الشيشان بعد رحيل خطّاب

الروسُ تحفرُ قبرَها بشمالِها فيمينها قد شلّها خطّاب

"لو قضوا عليه حقًا فذلك ضربة قاضية للإرهاب" .

هـذا تصريح الرئيس الروسي بوتن عقب توارد الأنباء باستشهاد خطّاب قائد المجاهدين العرب في الشيشان غدرا، و في ثنايا هذا الكلام نلمح إدراكاً جيدا لمكانة هذا القائد في الجهاد الشيشاني. **ولكن هل يُعتبر موتهُ حقاً ضربة قاصمة للجهادِ في الشيشان ؟** وللإجابة على هذا السؤال لنبدأ القصة من أولها:

في عام ١٩٨٩م خرج الجيش الروسي من أفغانستان يجر أذيال الهزيمة بعد أن تمرغت القوة العظمى في وحل أرض الأفغان ، وكانت هذه من المسامير التي دقت في نعش الاتحاد السوفييتي، وعلى أثره بدأت جمهوريات الاتحاد السوفييتي في التفكك ... وقوض الاتحاد السوفيتي، وبقي الروس يحافظون على الاتحاد الروسي الذي من ضمنه شمال القوقاز الشيشان وداغستان وأنقوشيا وغيرها.

وكان جوهر دودايف الشيشاني ضابطاً كبيراً في الجيش الروسي، فعاد إلى بلاده حاكماً فيها، وبدأ يطرح فكرة الاستقلال بالشيشان عن الاتحاد الروسي منذ ١٩٩٢م، والروس يلوحون باجتياح الشيشان، فقام جوهر بتعبئة الشيشانيين خلال سنتين، حيث أعلن الاستقلال عن روسيا في ١٩٩٤م.

و في مرسوم رئاسي تم اجتياح الجيش الروسي دولة الشيشان فجر يوم الأحد الموافق ١٤١٥/٧/٨ ودخلوها من ثلاثة محاور، وقاومهم الشيشان ببسالة وأسروا ٤٧ جندياً واستولوا على العديد من الدبابات وحاملات الجنود وحرقوا بعضها، وأسقطوا بعض الطائرات وقد اعترف الروس بذلك.

ولقد رفض البرلمان الروسي هذا التدخل ودعا النائب يوشينكوف الذي قاد المفاوضات في جروزني إلى تظاهرات شعبية وسط موسكو وحذر رئيس الوزراء الروسي السابق جيدار من حدوث أفغانستان أخرى في الشيشان داعياً يلتسن إلى التراجع عن استعمال القوة، وكانت ردود الفعل الغربية على هذا التدخل باردة وعلى استحياء بدعوى أن الأمر شأن داخلي أما العدوان وانتهاك حقوق الإنسان فلا قيمة لها مادام الأمر يخص المسلمين فقد قال وزير خارجية أمريكا: إنه

يؤيد التدخل الروسي وهو شأن داخلي أما وزير الخارجية البريطاني فقد قال زيادة عن ذلك: إن وجود الشيشان مستقلةً فيه تهديد للأمن الأوروبي، مع الأمل بتسوية سلمية سريعة! ولا يستبعد أن الروس قد أخذوا إشارة خضراء من الاجتماعات الأوربية الأخيرة بخصوص هذا الاجتياح.

وعندما وضعت روسيا قواتها في حالة تأهب في ١٩٩٤/١٢/١٤، ثم بدأت القتال بعد ذلك: كان مقرراً لهذه الحرب ألا تستغرق وقتاً طويلاً، حتى إن وزير الخارجية الروسي قد صرح بأن المهمة العسكرية في الشيشان لن تستغرق أكثر من ساعات معدودة، ومما يدل على أن الروس كانوا جادين في إنهاء هذه الحرب بسرعة: أنهم حشدوا لغزو الشيشان ١٥٠ ألف مقاتل، بينما لم يحشدوا لغزو أفغانستان إلا نصف هذا العدد، ولكن الذي حدث أن المعركة طالت وزادت أعباؤها مما أوقع يلتسين في ورطة، ووجد الروس أنفسهم غارقين في مستنقع حرب عصابات ومما زاد من ورطة الرئيس الروسي وعده بتخفيض عجز الميزانية الروسية بنسبة كبيرة لعام ١٩٩٥، ولكن تلك الحرب عرقلت برامجه من أجل الوفاء بهذا الوعد، وأصبح حصوله على مساعدات آتية من الغرب محل شك، نظراً لأن صندوق النقد الدولي له حساسيات خاصة به فيما يتعلق بالأزمات الداخلية في الدول التي تتعامل معه.

ومما يدل على شدة اضطراب يلتسين من عدم انتهاء هذه الحرب بسرعة: أن قواته ظلت تقصف العاصمة الشيشانية بشراسة وجنون ــ غير عابئة بالأصوات التي تنبعث من هنا وهناك منادية بوقف القتال ــ ووصلت به العجلة إلى حد اعتبار الحرب منتهية بمجرد الاستيلاء على قصر الرئاسة الذي تسلمه الروس مدمراً تماماً وخالياً، ثم أعلن بوقاحة أن مهمة الجيش قد انتهت وأن الشرطة تتولى فرض النظام، ولكن ظهر بعد ذلك أن المقاتلين الشيشان لا يزالون يقاومون الجيش الروسي في مناطق مختلفة من العاصمة جروزني.

وقد أدى استمرار القتال، وبالتالي استمرار الانقسامات في المواقف داخل الحكومة والجيش الروسي إلى المزيد من الإرباك لـ يلتسين.

وبعد عشرين شهراً من القتال واستتراف القوات الروسية داخل الشيشان، وبخاصة عملية غروزني بقيادة شامل التي حوصر فيها أكثر من سبعة آلاف جندي روسي: اضطر الروس للخروج من أرض الشيشان أذلاء صاغرين تحت مظلة مصالحة من أهم بنودها: أن يرجأ موضوع استقلال الشيشان خمس سنوات من عام ١٩٩٦م، وأن تخرج القوات الروسية من أرض الشيشان، وألا تتدخل في شؤونها الداخلية.

الغزو الروسي الثاني:

في رمضان عام ١٤١٨هـ بدأ المجاهدون بزعامة خطاب وباسييف بعملية كبيرة على أكبر قاعدة عسكرية روسية على مستوى القوقاز، وتقع في داغستان، فقاموا بتدميرها وكان ذلك الأمر الذي أدى بالحكومة الداغستانية إلى ضرب العمل الدعوي داخل داغستان واعتقال قياداته العلمية، مما جعل بعضهم يفر بدعوته إلى خارج البلاد.استنجد المجاهدون بإخوانهم فجاء مدد وتفرقت الشرطة الداغستانية واستنجدت بالروس الذين جاءوا بأعداد كبيرة إلى القرية وحاصروها، وبدءوا الضرب عليها بالطائرات والمدافع فاستنجد المجاهدون بإخوانهم في الشيشان الذين دخلوا من محافظة بوتليخ،

وفاجئوا الروس واستولوا على ثلاث قرى ومطار عسكري. وتسارعت الأحداث وتدفقت القوات الروسية، واستخدموا جميع الأسلحة الثقيلة والخفيفة في مواجهة المجاهدين.

ومنذ ذلك التاريخ تدور المعارك وحرب العصابات بين المجاهدين والروس وقد قام المجاهدون بعمليات ناجحة على مدار السنوات القليلة الماضية تمكنوا فيها من إرهاق الدولة الروسية عسكريا و سياسيا و استنزافها اقتصاديا وفي المقابل فإن الجهاد لا يمضي سهلاً هينا، فمن سنته تعالى أنه لابد فيه من تضحيات و بأساء و ضراء و زلزال حتى يدخل المجاهدون الجنة. و قد ابتلى الله المؤمنون مؤخراً باستشهاد القائد العسكري للمجاهدين خطّاب رحمه الله تعالى.

و يبقى السؤال الأهم وماذا بعد وما هو مستقبل الجهاد في الشيشان بعد خطّاب؟.

و للإجابة على هذا السؤال لابد من اتباع منهج تحليلي يراعي الأمور الآتية:

1. **عناصر القوة في الجهاد الشيشاني .**
2. **ما يمثله خطّاب في المنظومة السابقة.**

و على ضوء هذين العنصرين نستطيع أن نستكشف حجم الخسارة في الجهاد الشيشاني.

أولا / عناصر القوة في الجهاد الشيشاني:

لتقويم المجاهدين في الشيشان يجب علينا دراسة خمسة أمور:

القيادة – التنظيم – البيئة – التخطيط – الفكرة.

ولكن يهمنا هنا العنصر الذي هو لب الدراسة والذي يمثله خطاب و هو القيادة:

تعددت التعريفات العلمية للقيادة: فهناك من يهتم في تعريف القيادة بوسيلة التأثير في الجماعة أكثر من اهتمامه بوسيلة استخدام السلطة، فيقول عنها: "هي فن استمالة الأفراد للتعاون في تحقيق هدف مشترك". وهناك من ينظر إلى القيادة من وجهة نظر التابعين، فيعرف القائد بأنه: "القادر على التأثير التوجيهي في سلوك المرؤوسين فيتبعونه راضين مقتنعين بأنه القادر على تحقيق أهدافهم وإشباع رغباتهم"، ومنهم من يبرز الدور الأخلاقي كأحد أبرز الواجبات القيادية فهي: "تحفيز ومساعدة الناس ليكونوا أفضل مما قد يكونوا بدونها وهذا يعني إرشادهم نحو تحقيق قيم ومثل موضوعة من قبل مصادر عليا".

والقيادة دعامة أساسية من دعائم الدين يقول ابن تيمية عنها: "يجب أن يعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين بل لا قيام للدين إلا بها، فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض ولابد عند الاجتماع من رأس".

ولكي ننجح في تقييم قيادة جماعة لابد لنا من معرفة عناصر القيادة وتحليل كل مكون من مكوناتها لإيجاد المحك وإطار التقييم.

وعناصر القيادة كما وضح من خلال التعريفات التي ذكرناها سابقا هي:

صفات القائد – فن التأثير في المرءوسين – وجود السلطة – الهدف المشترك.

١- خصائص القادة وصفاتهم :

يمكن إجمال صفات القادة داخل أربع مجموعات من الصفات:

الصفات الإيمانية – الصفات الفكرية – الصفات الذاتية – الصفات المهنية.

الصفات الإيمانية: ونعني بها الفعل السلوكي المؤمن؛ بدءًا من إخلاص النية، وانتهاءً بتحقيق الغاية، وهي إرضاء الله تعالى، مرورًا بالتحلي بصفات التواضع والرحمة والصدق والأمانة وغيرها، وانتهاء بالحرص على إتيان النوافل والمواظبة عليها من قيام ليل وصيام وذكر وتفكر.

الصفات الفكرية: وهي تشمل القدرة على التصور والتخيل وعمل المقارنات وفهم المشكلات وحلها وتتضمن القدرة على رؤية لب الموضوع وعلى تقييم المواقف بسرعة وحاسة الحكم على الأشياء، وقبل كل ذلك القدرة العلمية الشرعية.

الصفات الذاتية: ومنها الشخصية القوية المؤثرة والثقة بالنفس واللباقة والمرونة والمرح الذي يلطف التعامل بين الأفراد والقدوة في كل شئ.

الصفات المهنية: ويقصد بها المهارة الفنية والفهم الجيد لطرائق العمل الحديثة، فكلما كان القائد ذو ثقافات وخبرات واسعة تمكن من رؤية أي مشكلة بعمومها و جزئياتها.

٢- فن التأثير في المرؤوسين:

هل إنجاز العمل هو الأولى من القيادة أو إيجاد الرابطة الطيبة مع التابعين هي المقدمة؟

نتيجة لاختلاف الناس في الإجابة على هذا السؤال اختلفت الأساليب القيادية إلى ثلاث أساليب لا يخرج عنها أي قائد: الأسلوب المتسلط أو الديكتاتوري، الأسلوب المتساهل الذي يسمح بالمشاركة وإبداء الرأي، والوسطية أو التغير حسب الظروف والموقف .

فالقائد المتسلط غايته الأساسية هي تحقيق المهمة والإنجاز، ويركز السلطة في يديه، ويمتنع عن تفويضها إلى غيره، فالقرارات تعطى للمرؤوسين مع إعطائهم قدرا ضئيلا من البيانات الضرورية ويؤدي هذا إلى شعور المرؤوسين بنقص معلوماتهم عن العمل وضعف قدرتهم على تحقيق أهدافه؛ لأن القائد هو الذي ينفرد بوضع الخطة وفرض خطوات العمل وتحديد الأهداف، والمبرر الذي يسوقه هذا النوع من القيادة أن طبيعة الإنسان التي تتمثل في كونه كسولاً بطبعه وأنه سيتهرب من العمل المكلف به فلابد من أسلوب السيطرة للتغلب على هذه الطبيعة عن طريق إرغام العاملين على العمل ومراقبتهم وعقابهم عند التقصير في تحقيق الأهداف المطلوبة.

وعلى النقيض منه هناك الذي يحافظ على علاقته بالآخرين على حساب إنجاز الهدف المطلوب وهناك أيضا الذي لا يهتم بهذا أو ذاك أما المتوازن فهو الذي يوازن بين علاقته بمرؤوسيه وبين تحقيق المهام الموكلة له بشكل لا يطغي أحدهما على الآخر.

ولكن ما هي العوامل التي تدفع القائد إلى أخذ هذا الأسلوب وترك الآخر؟ بل نجد أن القائد يميل إلى سلوك متسلط في موقف ونفس القائد في موقف آخر يميل إلى المشاورة والتفاعل مع التابعين؟

يوجد ثلاثة أنواع من القوى هي التي تتحكم في اختيار القائد لأسلوب معين :

أ – القوة الكامنة في القائد نفسه :

هناك عدد من صفات القوة في شخصية القائد والتي تؤثر عليه منها:

عقـــيدة القائد: ما هو تأثير عقيدته على سلوكه العام هل سلوكه فيه وصولية وانتهازية وابتزاز لتحقيق مآرب شخصية أم أن إيمانه متوغل في أعماقه وينعكس على تصرفاته وأحواله .

ثقـــته في المرؤوسين : ثقة القائد نحو جماعته تؤدي إلى تولد رغبة لدى القائد في أن يسمح للآخرين في الاشتراك في وضع الحلول للمشاكل العالقة وفي الأخذ برأيهم ومصارحتهم والانفتاح عليهم بطريقة أكثر حرية.

الأهـــواء والترعـــات الهوائـــية عند القائد: هناك طباع تنصبغ على السلوك القيادي نابعة من الميول والرغبات والترعات الشخصية والتي تجعل للقادة سمة معينة تختلف من قائد إلى قائد.

ب– القوة الكامنة في المرؤوسين:

.بمعنى كيف يستطيع القائد أن يجعل من الخاضعين فعالين؟ دون إكراه؟

إذا أبدى الخاضعون حاجة كبيرة إلى الاستقلال

إذا كان لديهم الاستعداد لتحمل المسئولية وصنع القرار

إذا كان لديهم تحمل أكبر

إذا شعروا بأن المشكلة مهمة

إذا عرفوا أهداف المؤسسة أو التنظيم

إذا كان لديهم المعلومات الضرورية والخبرة للتعامل مع المشكلة.

ج– القوة الكامنة في الموقف:

القائد هو موقف وقرار، والقرار المناسب يجب أن يتفق مع الموقف. والموقف قد يكون:

نوع التنظيم الذي يقوم بالعمل وحجمه وتوزيعه الجغرافي – فاعلية أعضاء الجماعة في العمل كفريق –

المشـــكلة نفسها فهل هي معقدة أم سهلة وهل قيلت كل أفكار الناس الذين لديهم المعلومات الضرورية لحل المشكلة – ضغوط الوقت فكلما كانت الحاجة أكبر للقرار الفوري كانت مشاركة أفراد الجماعة أقل.

٤– الهـــدف المشترك: لا يتصور وجود جماعة بدون هدف تسعى لتحقيقه وإلا انعدم وجودها أصلاً ولابدّ للقائد أن يكون أكثر أفراد الجماعة قدرة على حفزها لتحقيق هذا الهدف.

و بتطبـــيق هـــذه الصفات على خطّاب نجد أنه قد تحققت في شخصه كثير من الصفات القيادية السابقة فضلا عن عدة أمـــور : هو حرصه على تعميق أدب الخلاف فلم نسمع قط خلافا وقع بينه و بين باساييف برغم اختلاف العرق بينهما ولكن كان خطاب ذكيا في استمالة هذا القائد وجعل الجهاد والفريق الذي يمثله في انسجام ممتاز بين القيادات والأتباع، كذلـــك علاقـــته مـــع رئـــيس الشيشان مسخادوف وكثيراً ما راهنت روسيا ومن معها من وسائل إعلام غربية على تفجرالخلافات بين خطّاب وباساييف من ناحية وبين فريق مسخادوف من ناحية أخرى.

وعـــندما سُـــئل خطّاب في موقع اسلام أون لاين عن أجواء العلاقة بين المجاهدين والرئيس الشيشاني مسخادوف، وماذا عما يتردد عن وجود خلافات بينهم؟

فأجـــاب خطـــاب قائلا: مسخادوف هو رئيس جمهورية الشيشان، وجميع المجاهدين يقاتلون تحت قيادة واحدة هي قـــيادة مســـخادوف، وأحب أن أقول: إنه لا يخلو قوم من خلاف فهذه طبيعة البشر إلا أن أي خلاف قد نُحِي جانبًا، وما يشغل الجميع هو مواجهة الجيش الروسي المتهالك.

وعـــند اســـتعراض شخصيات وقدرات القادة الآخرون في الجهاد الشيشاني نجد أن هذا النموذج الذي يمثله خطّاب لا يـــتكرر، وإعلامـــيا لا يوجد كثير من العرب المجاهدين في الشيشان من لديه استعداد ليبرز كخلف لخطّاب و هذه على العمـــوم مما ينبغي أن يوجه نظر الحركات الإسلامية إلى أهمية إعداد كوادر جديدة تتولى الراية من بعد قادتها لا مجرد أن تعتمد على أشخاص رزقهم الله مواهب قيادية عالية وعلى استعداد لبذل الرخيص و الغالي في سبيل قضيتهم.

إذن هـــناك فراغ قيادي ربما يخلفه خطّاب وهذا الفراغ ربما لن يستطيع أحد أن يملأه في المستقبل المنظور إلا إذا أراد الله شيئا آخر. (نسأل الله تعالى أن يبارك بأبي الوليد الغامدي وإخوانه المجاهدين).

هناك قضية أخرى على جانب كبير من الأهمية سوف تبرز كأثر لغياب خطّاب، هي قضية التنسيق بين المجاهدين العرب والشيشـــان فيـــبدو أن خطّابا كان يقوم بدور فاعل في عملية التنسيق بين المجاهدين بمختلف فصائلهم وانتماءاتهم العرقية وحـــتى الفكـــرية منها، فلم يعرف عنه قبل الالتحاق بركب الجهاد أو أثناءه أي انتماء فكري لجماعة معينة أو حزب بل كان انتماؤه الأصلي للإسلام الجهادي بكل ما يمثله من معاني بعيداً عن أي إطار حزبي أو غيره.

و تـــبرز أيضـــا قضـــية ثالثة ذات تأثير كبير على مستقبل الجهاد الشيشاني وهي مسألة تمويل الجهاد الشيشاني فكثير من المتبرعين بأموالهم في سبيل هذه القضية كانت تقدم للجهاد ثقة في خطاب وما يقوم به وثقة في دينه و أماناته وبعد رحيله فـــالخلف لا يمكن معرفتهم جيدا إلا بعد فترة و اشتداد الوطيس و لا شك أن تدفق المساعدات المالية والعينية للمجاهدين سيتأثر. (الثقة ولله الحمد ستظل موجودة بوجود إخوان الشهيد الذين شاركوه الجهاد المبارك في الشيشان).

هـــذه أشـــياء قـــد تؤثر بصورة أو أخرى على وضع الجهاد الشيشاني ولكن سنن الله في الدعوات تعلمنا أن دماء الشـــهداء دائمـــا مـــا يصنع منها حبال و أطواق للنجاة فمن كان يظن أن بعد إعدام سيد قطب أن تنتشر دعوته ويتـــلهف الشباب على كتبه وتشهد فترة السبعينات من القرن الماضي إقبالا كبيرا ورغبة في تتبع آراء ذلك المفكر الكبير وغيرهم من الأمثلة الكثير.فمن غياهب الظلمة يشع النور، ومن رحم اليأس والقنوط يولد الأمل.

و أشياء كثيرة تتغير و الظلام لا يظل ظلاما فلابد أن ينساح النور ليغمر وجه الحياة.

و لكن عندما يكون هناك من يقف أمام الطوفان .....

من يرفض تجبر الباطل و يعلنها على الملأ.....من يحيي سنة مؤمن آل فرعون و يهتف قائلا:

فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ.

استشهاد خطاب

دروس وعبر

إنّ استشـــهاد القـــائد خطّاب وغيره من المجاهدين في البلاد الإسلامية (الشيشان، أفغانستان، البوسنة...) يُعتبر تجسيداً حقيقياً لمبادئ الإسلام (وحدة الأمة، الأخوة الإسلامية، نصرة المسلمين، الوقوف في وجه الظالم، عدم الخضوع للكافر، إقامة حكم الله، الجهاد...)، وانتصاراً سياسيا لوحدة الأمة الإسلامية.

فهـــو بجهـــاده في أفغانســـتان وطاجكستان والشيشان ساهم في تعميق الرؤية السياسية الإسلامية التي تحكم الصراع مع العـــدو، والتي ساهمت بشكل كبير في إفشال مخططاته وإعاقة مشروعه السياسي المتجلي في استدامة حالة المسخ السياسي الذي أرساه عبر معاهدة سايكس بيكو ويعمل جاهداً للمحافظة عليه من خلال عملائه، وإحياء للذاكرة الإسلامية. كما أعـــادت بشكل قوي القضية السياسية الإسلامية إلى واجهات الأحداث بعدما تم إقبارها ردحاً من الزمن، والتي نتج عها صـــحوة إســـلامية مـــباركة، وكثرة المقبلين على الإسلام، وتغير تام في الخريطة السياسية العالمية. ويكفي فخراً للشهيد خطاب ولسائر المجاهدين هذا الإنجاز السياسي العظيم.

إن الشـــهيد خطّـــاب كان يجاهد من أجل تنفيذ الهدف السياسي الشرعي المتجلي في إقامة الدولة الإسلامية ليعيش المســـلم في وئـــام تام مع الواقع السياسي الذي ينسجم مع إيمانه. عكس المتغربين سياسياً الذين فضلوا تغييب الذات الإسلامية، وتحويلها إلى ملحقات وهوامش تدور في فلك العدو.

لـــذا فـــإن الفرق بين الشهيد خطّاب والمتقاعسين / المتغربين سياسيا الذين يستبعدون استراتيجية الجهاد لتحرير أنفسهم وأمـــتهم من الأسر السياسي / الاستعمار يكمن في المفاهيم والمعتقدات والأسس الفكرية والسياسية التي ينطلق منها كل واحـــد مـــنهما، فمـــثلاً نجد الشهيد خطاب ينطلق من المفاهيم السياسية الإسلامية الواضحة كإقامة السلطة السياسية، ووحدة الجسد السياسي للأمة، وجوهر الصراع مع العدو...، ويسعى عملياً من خلال الدعوة والجهاد في تشكيل الواقع السياســـي الإســـلامي دون الوقوع في مباركة وتزكية المنكرات السياسية (القانون الوضعي، طاعة الحاكم المرتد، مجلس الأمـــن...) حـــتى لا يصاب بانفصام في شخصيته السياسية، أما الآخر فينطلق من المفاهيم والمعتقدات والأسس الفكرية والسياسية الكلية لمدرسة التغريب السياسي / حضارة الغرب (الدولة العلمانية، الوطنية، الديمقراطية...).

وعليه فإن استشهاد القائد خطّاب ترك دروساً عظيمة للأمة، لكن في مقالنا سنقتصر على البعض منها.

أولاً – الدروس السياسية:

- الصـــرامة المنهجية في التعامل مع نصوص الوحي لاسترجاع الحقوق المغتصبة والتمكين السياسي لدين الله، إضافة إلى الوعـــي الحقـــيقي بمفردات الواقع السياسي الدولي والتشخيص الدقيق لطبيعة العدو، وهذا ينسجم مع تعاليم ديننـــا الحنـــيف، والسنن الكونية، وسيرة رسولنا العظيم عليه أفضل الصلاة والسلام، وهذا ما أثبته أيضاً التاريخ والواقـــع والمـــنطق السليم، حيث لا يُمنح الحق لمسلمين من طرف الأعداء بل يسترجع بالقوة، ، وأن الضعيف مستلب دائماً في حقه، وخير مثال ما يتعرض له إخواننا في الشيشان وفلسطين وأفغانستان...، وأن القرآن يسير جنـــباً إلى جنـــب مع السيف في الإسلام وكلاهما ينصر الآخر، وأن انهيار الدول والشعوب سببه الضعف، وأن الكـــيان الصـــهيو أمـــريكي يستعبد الأنظمة العميلة بالقوة، وأن الاستعمار احتل البلدان الإسلامية بالقوة، وأن **الشـــهيد خطّـــاب** استحق تلك المكانة الرفيعة عند العدو قبل الصديق بسبب إيمانه بقضية الأمة ونهجه لسياسة الجهاد، وصدق الشهيد خطاب حين قال: "إلى متى ونحن الدعاة نجلس ننتظر العدو؟ ونعلم أنه يجهز العدة لإبادتنا حـــتى يغـــزونا ويهلكنا، فنقف على المنابر نشكو هتك الأعراض، وقتل الأنفس واحتلال البلدان"، وقوله أيضاً: "من عاش صغيراً مات صغيرا، ومن عاش لأمته عاش عظيماً ومات عظيما".
- **أن العمـــل السياســـي الصحيح هو الذي يقود صاحبه إلى المشاركة الفعالة في قلب معركة حياة هذه الأمة، يســـاهم في تحريـــر واقعهـــا السياسي من احتلال العدو**، والتأثير على موازين القوى السائدة، وهذا ما قام به الشهيد لما هاجر إلى أفغانستان وطاجكستان والشيشان.
- التربـــية السياسية الصحيحة لهذه الأمة لا تتم إلا من خلال الجهاد، وأن المفاهيم السياسية الإسلامية لا تترسخ إلا عبر الممارسة.
- **الجهـــاد ساهم بشكل كبير في محو الأمية السياسية التي تتخبط فيها الأمة بخصوص قضيتها، وعدوها، وجوهر صـــراعها**، ووحدة الجسد السياسي، وسبل تحررها...، التي سعى العدو إلى طمسها من خلال العقائد السياسية الجديدة / سياسة التغريب كالوطنية، والمجتمع المدني، والديموقراطية، مجلس الأمن، الأمم المتحدة...، لأن المتغرب السياســـي، وكمـــا نرى في واقعنا المعيش يساهم في تفكيك بنية الاجتماع السياسي وإضعاف قدرة الأمة على النهوض السياسي. وهذا يؤثر بشكل سلبي على الأداء السياسي للمسلم، بحيث يجعله يعيش الازدواجية في مواقفه ويصبح السؤال عنده دائما بخصوص الولاء السياسي عندما يحتد الصراع بين المسلمين وأعدائهم، وتتعارض عنده المفاهـــيم السياســـية الإســـلامية والمفاهيم السياسية التغريبية، أي كيف يتصرف سياسياً مع ما يقع في فلسطين واالشيشـــان وأفغانســـتان، بحيث يدفعه الموقف السياسي الإسلامي إلى نصرة إخوانه، والموقف السياسي التغريبي يمـــنعه من ذلك محتجاً بالبدع السياسية المعاصرة التي تفنن البعض في إخراجها كعدم التدخل في الشؤون السياسية الداخلية للبلدان، والوحدة الوطنية، وأخذ الإذن السياسي من الحاكم... وهذا ما يفسر الارتباك والتردد وضعف الشخصـــــية والخـــــوف الـــــذي يطـــــبع المســـــلم السياســـــي في الـــــبلاد الإســـــلامية.

وهذا ما نراه بوضوح مكشوف في فلسطين المحتلة، أي رغم السياسة المكشوفة للسلطة هناك، فإن الشعب المجاهد قاهر آل صهيون لم يستطع لحد الآن من قول كلمته السياسية فيها.

- الثبات السياسي على الأهداف السياسية (بناء المجتمع الإسلامي، إقامة الدولة الإسلامية...) والعزم السياسي على مواصلة الجهاد.
- القيادة الحقيقية لا تفرض نفسها على الأتباع، بل تبرز من خلال الاختبار والمواقف والأدوار التي تقوم بها، والأحداث التي تمر بها الجماعة المسلمة، وهذا ما حصل للقائد الشهيد خطاب.
- **أن الشهداء والمجاهدين هم أصدق الناس وأنبلهم**، وأشد الناس ارتباطاً بقضايا المستضعفين والمحرومين والمظلومين، وأكثر إنسانية من غيرهم لأنهم ضحوا بأنفسهم وأموالهم من أجل رفع الظلم عن الآخرين، لذا فسياستهم أسمى سياسة، والشهيد خطاب نموذج حي، لأنه ترك الدنيا والأهل والأصدقاء، وهاجر إلى أفغانستان ثم إلى طاجكستان ثم إلى الشيشان من أجل نصرة المستضعفين من الرجال والنساء والولدان، و لم يكتفي بالصراخ والعويل...
- أن الاستقلال السياسي للبلاد الإسلامية لا يتحقق بالكلام والتكتيكات الفارغة والمفاوضات التخديرية، وإنما بالأرواح والأشلاء والدماء، وهذا ما يحصل في الشيشان حيث قدم أفضل النماذج وعلى رأسها الشهيد خطاب. وعليه يجب على الأمة أن تبني سياستها واقتصادها وثقافتها على خيارها الإستراتيجي الجهاد.
- أن نموذج الشهيد خطاب يمكن تكراره، لأنه وكما جاء في سيرته قبل أن يلتحق بالجهاد تبين أنه كان كسائر الناس، يفكر فيما يفكرون فيه، ويحلم بما يحلمون، طبعاً كانت له ميزات ذاتية من ذكاء وشجاعة وغيرة وإرادة...، لكن التحاقه بالجهاد هو الذي فجر طاقته الكامنة، ووجه قدراته في الاتجاه الصحيح، فبرز بشكل سريع، أي يوجد أمثال الشهيد خطاب في الأمة الولودة الذين يتميزون بنفس أخلاق وقدرات الشهيد، لكن غارقين في مجالاتٍ أخرى، مما يستوجب على الدعاة البحث عنهم لانتشالهم وتوجيههم الوجهة الصحيحة، أي تحريرهم من العجز ودفعهم للتفاعل بكل قواهم الكامنة وفق عقيدة التوحيد واستراتيجية الجهاد.
- أن الثقافة السياسية التي يحملها المسلم هي الإطار المعنوي للحضارة، وهي إما أن تكون من عوامل التحرير والنهوض والتقدم(سياسة الجهاد)،أو من عوامل الاستعباد والانهيار والتخلف (سياسة التوسل).
- أ ن الجهاد المسلح هو في نهاية المطاف حوار إرادات سياسية متصارعة.

ثانياً – الدروس الأمنية:

إن العدو الروسي لم يستطع القضاء على الشهيد القائد في ميدان المعركة رغم ترسانته العسكرية الضخمة وكثرة جنوده، حيث كان مجرد ذكر اسمه يقذف الرعب في العدو، ويهز عرش بوتن، وهذا ما جعل **روسيا تعتبر استشهاده نصراً كبيراً لها، وهذا غير صحيح لأنها أرادت اختزال القضية في شخصه. لذا لا يجب أن ينطلي علينا مثل هذا الأسلوب الأمني (الحرب النفسية)**، وأن نجند أنفسنا لدفع الأمة إلى الاستفادة التامة من الدروس العسكرية والسياسية والثقافية

والـــتربوية... التي تركها الشهيد، واستثمار استشهاده لإخراج ألوف من خطاب الذين ينتظرون موقعهم في كافة البلاد الإســـلامية، ويكـــون وفائنا للشهيد خطاب بتجسيد وصيته التي تجلت في مقولته: "**همم المسلمين لا تضعف باستشهاد القادة، بل تقوى بفضل الله لأن العمل لله عز وجل وليس للأشخاص**".. وعليه فإن الدروس الأمنية التي يمكن الخروج بها تتمحور في الخطوط التالية:

- تحديـــد سياســـة واضـــحة بشأن تزكية من يلتحقون بالجهاد، لكي لا يخضع الأمر إلى طبيعة أو مزاج أو عاطفة المجـــاهد، لأن التجارب أثبتت أننا ننخدع في بعض الأحيان عندما نعطي ثقتنا للشخص في بداية الأمر، فنكتشف مـــع مرور الوقت ولا سيما في الأحداث المختلفة وعندما تتغير الأحوال والمواقف أننا لم نتمكن من معرفته جيدا، وأن تفاصيل كثيرة ودقيقة في شخصيته كانت غائبة عنا.
- الـــتوازن في اتخـــاذ القرار بشأن التزكية، لحماية مجتمع المجاهدين من أن يتحول إلى مجتمع استخبارات تنعدم فيه الثقة، أو مجتمع السذج الذي يصبح مرتعاً خصبا لكل عميل وخائن.
- اختبار كل من يلتحق بالمجاهدين بالطرق التي تساعد في عملية الوصول إلى عمق حقيقته، ومعرفة معدنه ورصيده التربوي، وإذا اقتضى الأمر طلب المزيد من المعلومات والتفاصيل حوله عبر الثقاة ممن يعرفون البلاد التي أتى منها.
- التشـــديد في الإجـــراءات والشـــروط بخصوص من يتم ترشيحهم للمهام التي تجعلهم قرب القيادة، ويجب عدم التهاون في هذا الأمر الخطير.
- عـــدم التسامح فيمن اشتُمت فيه رائحة الخيانة والغدر، وعلى كل المجاهدين أن يصبحوا عيوناً يقظة ترقب وتبلغ قادتها.
- إعـــداد دراســـات ميدانية حول سمات العملاء النفسية منها والفكرية، وتعميم الوعي بذلك وسط المخلصين من المجاهدين.
- الإكثار من الدعاء وصلاة الاستخارة والاستعانة دائماً بالله سبحانه وتعالى.

هـــذه الأمـــور مجـــرد تذكير لإخواننا، لأن المجال لا يسمح بغير ذلك، على أن الأخذ بها يدخل في اتخاذ أسباب الحيطة والحذر التي أمرنا الله بها، أي في إطار العبادة والتقرب إلى الله.

كما يجب أن نعلم جيداً أن العملاء أصناف، والاختلاف بينهم يكمن في المهمة المحددة لكل منهم، فمثلاً يوجد:

١. **الاخـــتراق للوصول إلى القيادة**: والسامري خير نموذج، حيث انتظر اللحظة المناسبة/غياب موسى عليه السلام لســـرقة تضحيات وإنجازات القيادة/موسى عليه السلام، مما يستوجب على القيادة المرابطة في مواقعها، والسهر عـــلى جنودها بنفسها، ومراقبتهم لحمايتهم من تسلل من له طموحات السامري في الوصول إلى مركز التوجيه والقـــرار. وهذا ما وقع للإخوان المصريين مع عبد الناصر، والأمثلة كثيرة.. لذا يجب على الحركات الجهادية أن تكون اليد التي تضرب، والعقل الذي يفكر، لتحمي إنجازاتها السياسية.

٢. **الاخـــتراق لإحداث الفتنة**: أي الهدف هو استغلال بعض الاختلافات الشكلية والطبيعية التي قد تكون وسط المجـــاهدين، والـــتي تكون دائما نتيجة للتفاوت في الرؤية وتقدير الأمور، أي في الخبرة والرصيد العلمي، **فيتـــم تضخيمها**.. وقد تصل أحياناً إلى اغتيال أحد العناصر ليختلف المجاهدون حول القاتل، عندئذ يستفيد العدو من الارتباك والانشقاق أو الانقسام الذي قد يحدث.

٣. **الاختراق من أجل الاغتيال**: كما وقع للشهيد خطّاب رحمه الله تعالى.

٤. **الاختراق من أجل المعلومات**: أي الهدف هو جمع المعلومات حول المجاهدين وإبلاغها للعدو.

٥. **الاختراق من أجل الترويض**: كما حدث في مصر، حيث تم الدفع ببعض الدعاة إلى الاتصال بالمجاهدين داخل السجون من أجل تغيير قناعتهم، للتشكيك في نهج الجماعة وشق صفها...

ثالـــثاً – تنبـــيه وتحذيـــر: ندعو إخواننا إلى الحذر الشديد من الوقوع في الشراك السياسي الذي قد ينصبه العدو، كمـــنحهم استقلال شكلي ملغم باحتلال جديد، وبقادة غير حريصين على مواصلة المسيرة، ليتمكن من ترتيب أوراقه في المستقبل. وهذا ما وقع في معظم البلاد الإسلامية، لأن تدمير البنية التحتية الداخلية للعالم الإسلامي هدف ثابت وقائم عـــند العـــدو، فهـــو عندما يعجز أمام مقاومة المجاهدين يلتجأ إلى أسلوبه الخبيث، حيث يستغل البعض الذين يريدون الحصـــول على بعض المنافع العاجلة، فيتم استخدامهم مؤقتا، وذلك باقتطاع القضية واختزالها في سياق محلي انطلاقاً من المقولـــة الوطنـــية، وقطعها عن سياقها العام، أي عن عمقها الإسلامي فتغيب عنهم الحقيقة، ثم يختلفون بشدة على ما لا يعـــرفون، حـــتى يـــأتي اليوم الذي يكتشفون فيه أنهم مجرد ممثلين صغار في مسرحية كبيرة، كما يحدث الآن في فلسطين وباكستان وأفغانستان...

وعليه، نقول لإخواننا المجاهدين: إنكم الوحيدون في العالم الذين يعرفون جيداً عدو الأمة ويستوعبون أهدافه، لأنكم تملكـــون الـــرؤية الإســـتراتيجية التي تربط بين أعداء الإسلام/ أمريكا وآل صهيون وعملائهم في العالم، وبين تحرير فلسطين والشيشان وأفغانستان، لأن المعركة في أي بلد إسلامي تدخل في إطار تحرير كل الوطن الإسلامي، وهذا ما لا يدركه الكثيرون، وإن أدركوه لا يعملون به.

وصية من نور

خطّاب ترك لمسة من نور توقظُ جَنان الإنسان وتهديه الطريق .. تفكّروا في معانيها، والتي هي :-

١- الذي لا تكسبه صديقاً لا تكسبه عدواً.

٢- عدم التدخل في القضايا الداخلية للناس إلا بالإصلاح.

٣- القتال دائماً ضد الكفر البَواح.

٤- لا تُقم الجهاد في مكان إلا إذا تبنّاه أهله.

٥- استشارة العلماء الأفاضل، وأهل الحكمة والخبرة بشكل دائم، والابتعاد عن الاجتهاد الشخصي قبل أي عمل.

٦- اقرأ عدوَّك، ولا تستهن به، واختبر رد فعله أولاً.

٧- استخدم عنصر المفاجأة، واستغل نقاط ضعف عدوك.

٨- استعن بأهل الكفاءة، ثم الأصدقاء، بعد الإعداد المتقن.

٩- الابتعاد عن التحزب ونبذ الفرقة، واتباع السنة، والبعد عن الترف، والعمل لنصرة هذا الدين.

لقد كانت حياته – رحمه الله وتقبله في المهديين – ترجمة أمينة لهذه الكلمات الموصية، ولهذا عظم المصاب به على الإخوة المجاهدين، بل على عموم المسلمين، ونسأل الله أن يحسن فيهم الخلافة، ويعوضهم خيراً.

ومن يصدق أن هذا الاسم الهائل الذي أقض مضاجع الروس، حتى كان موته آثر لديهم من إبادة شعب بأكمله... إنه في الثلاثين من عمره، أو بعدها بقليل، قضى منها أربعةَ عشرَ عاماً في جهاد متواصل لا ينقطع، لقد كان "الخطَّاب" كما أحب أن يُسمّى، مألَفَة للقلوب، محضناً للتربية الرشيدة على الهدف السامي، قانعاً من دنياه باليسير، معرضاً عن القيل والقال، والمراء والجدال، سَلم منه المؤمنون وتعنّى منه الكافرون المعتدون.

الخاتمة

" جماعـــة صـــغيرة هـــم الذين يحملون طموحَ الأمة الإسلامية، هم الذين يضحون بحياتهم ومصالحهم الدنيوية، ليحملوا ويحققوا هذا الطموح والأمل، هم الذين يبذلون الدم والروح من اجل النصر ومن اجل هذه العقيدة. مجموعة صغيرة من مجموعة صغيرة من مجموعة صغيرة " . كما قال الشهيد الدكتور عبد الله عزام رحمه الله.

واحدٌ من هؤلاء هو فقيدنا خطّاب – رحمه الله – نحسبهُ كذلك ولا نزكيه على الله.
انســـكبت الدموع من العيون لرحيله، وتعالت الأصوات تسأل الله لهُ أعلى المراتب في جنّات الخلد وأن يجعله حيـــثُ كـــان يتمنى مع سيد المرسلين محمّد عليه الصلاة والسلام ومع إخوانه من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين.. كما تسألُ الله الثبات على العهد وأن يُعوّض الإسلام والأمة عنه بخيرِ عوض، فإنه وليّ المجاهدين.
ولئن غاب القائد الحبيب خطّاب المعالي بجسدهِ عن دنيانا فهو في قلوب الشباب المؤمن حيّ مـــا دامت الحياة.

رحـــمَ اللهُ شهيدَ أرض الشيشان ، خالد بن الوليد لهذا الزمان، الذي أبلى بلاءً حسناً وكبيرا في قتال أعداء الله في مواطـــن عدة، وشاء الله عزّ وجلّ أن يكون موته على فراشه، لكنه فقد حياته ثمناً لتضحيته وبسالته ووقوفه مع إخوانه المسلمين الشيشانيين، تاركاً متعَ الدنيا وزخرفها إلى حيث جنات خلد في مقعدِ صدقٍ عندَ عزيزٍ مقتدر.

فرحمَ الله القائد خطّاب رحمةً واسعة وجزاه عن الأمة الإسلامية خير الجزاء.
والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عُبيده. كتائب النور

للتواصل الجاد والهادف لخدمة الجهاد

mailto:Aljabha1420@hotmail.com